الإصدار: 16



العودة إلى الصفصاف

مجموعة قصصية لليافعين

892
M9

فريد محمد معوض

إسهام



العودة إلى الصفصاف

مجموعة قصصية لليافعين

تأليف

فريد محمد معوض

الإصدار: 16 (أبريل 2009م / ربيع الثاني 1430هـ)

القاص فريد محمد معوض:

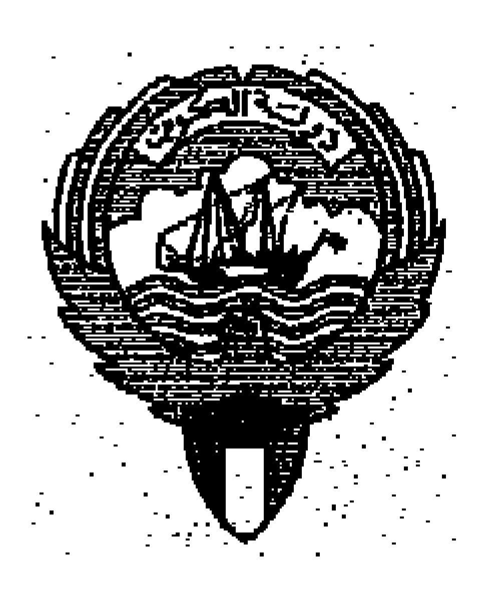
من مواليد مصر، عمل زائرا لأدب الطفل بكلية التربية ، جامعة طنطا، وحصل على أكثر من ست جوائز أدبية محليا وعربيا، ونشرت له مختلف المجلات العربية المختصة بأدب الطفل نماذج من قصصه.

له العديد من المجاميع القصصية، منها :«عود ثقاب»، و«أعلى من كل الناس»، و«علمنا الطير»، إضافة إلى أعمال روائية مثل: «أيام في الأعظمية» و«أرض الهويس» و «المنادي»...



نهـر متعـدد ... متجـدد

مشروع فكري وثقافي وأدبي يهدف إلى الإسهام النوعي في إثراء المحيط الفكري والأدبي والثقافي بإصدارات دورية وبرامج تدريبية وفق رؤية وسطية تدرك الواقع وتستشرف المستقبل.



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

إدارة الثقافة الإسلامية

ص.ب: 13 الصفاة - رمز بريدي: 13001 دولة الكويت

الهاتف: 22487106 (+956) - فاكس: 22468134 (+965)

البريد الإلكتروني: rawafed@islam.gov.kw

موقع «روافد»: www.islam.gov.kw/rawafed

تم طبع هذا الكتاب في هذه السلسلة للمرة الأولى،

ولا يجوز إعادة طبعه أو طبع أجزاء منه بأية وسيلة إلكترونية أو غير

ذلك إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر

الطبعة الأولى - دولة الكويت

أبريل 2009م / ربيع الثاني 1430 هـ

الآراء المنشورة في هذه السلسلة لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة

كافة الحقوق محفوظة للناشر

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الموقع الإلكتروني: www.islam.gov.kw

تم الحفظ والتسجيل بمكتبة الكويت الوطنية

رقم الإيداع: 2009 / 016

ردمك: 978-99906-678-5-1

فهرس المحتويات

تصدير ٥

سر فرحة مصطفى ١١

العودة إلى الصفاف ١٥

حصة الأستاذ حمزة ١٩

جائزة خاصة ٢٣

حسام ومدينة الأحلام ٢٧

في انتظار السوق ٣٣

دور الوالي ٣٩

حكاية طابع بريد ٤٥

قطار البلاد النائمة ٤٩

شاعر العصافير ٥٣

صاحب الكرة ٥٧

جولة جديدة ٦٣

حكاية كل يوم ٦٩

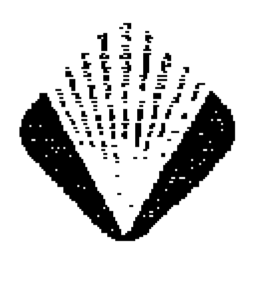
دكان الشِّعر ٧٣

رحلة إلى بساط العشب ٧٩

الهدف الرابع ٨٥

جُمعة لا تنسى ٨٩

أغلى مِسْبحة ٩٥
حجرة القرآن ١٠١
حكاية سجادة قديمة ١٠٩
مدينة الورد ١١٥
نبأ اليوم ١٢١
الجائزة ١٢٥



تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

يعتبر الإبداع القصصي عملية دقيقة تتطلب موهبة نادرة ، وتستدعي مهارات لغوية وأسلوبية وخيالية تتآلف جميعها لتصوغ نصوصا سردية قادرة على أن تصنف في إطار الفن القصصي.

وهذه الشروط وحدها تحتاج إلى خبرة ودربة وثقافة ، أما إذا انضاف إلى ذلك الإبداع القصصي خاصية أن يكون موجها لفئة الأطفال واليافعين والناشئة ، فإن الأمر يكون في أعلى درجات الدقة ، بله الصعوبة، إذ هما مجالان محتاجان إلى شروط وضوابط ومؤهلات، فإذا اجتمعا في يراع كاتب، فقد حاز مكانة في ساحة الأدب غير مزاحم فيها.

والقارئ الكريم المقبل على قراءة مجموعة «العودة إلى الصفصاف» للقاص فريد محمد معوض قادر على أن يسجل، بعد تأمل المجموعة، بأن القاص يملك موهبة فنية قصصية، ويجيد صناعة مخاطبة فئة الأطفال واليافعين والناشئة. وقد أمكنه ذلك بفضل ما حباه الله من مواهب ، وبفعل خبرته الطويلة في مجال أدب الأطفال ، تلك الخبرة التي أثمرت مجاميع قصصية منشورة .

ومعلوم أن أدب الطفل فن وعلم وتقنية ، تتداخل فيه الكلمة مع الخيال لتنسج صورا وعوالم قادرة على أن تجذب إليها اهتمام الطفل لتنغرس ، في وجدانه وعقله ، قيما ومواقف تقود حياته في بيته ومدرسته ومحيطه الخاص والعام.

وبلغ من أهمية أدب الطفل أن صارت له مؤسسات حاضنة في البلاد المتطورة، واتخذت له مجلات ومنابر خاصة، بل وصارت له أقسام ووحدات في المعاهد والجامعات، ورصدت له جوائز ومسابقات.

ولم يغفل الأدب العربي الحديث قيمة أدب الطفل، لكن التجارب تؤكد، هنا وهناك، بأن الجهود ما زالت فردية عفوية، إذ لم تقم مؤسسات تتوفر على الموازين العلمية والمنهجية للإشراف على أدب الطفل، بل ما زال الخلاف قائما حول مفهومه ودوره وأنواعه ومراحله.

وليس من أهداف هذا التصدير أن يبسط القول في مختلف الإشكالات والقضايا التي يثيرها موضوع أدب الطفل، لكن نرى أن السياق يسمح بتوضيح الفروق الآتية:

فأدب الطفل هو الأدب(شعرا وقصة ورواية ومسرحية...) الذي يؤلفه كتاب وشعراء وروائيون وقصاص ومسرحيون في مختلف موضوعات الحياة، ويستهدفون به التواصل مع الأطفال بغية غرس مجموعة من القيم في نفوسهم وعقولهم.

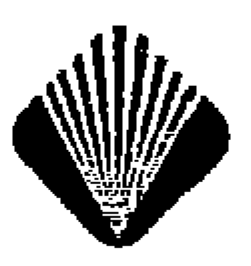
ومن هذا المنطلق، فهو غير «أدب الطفولة»، كما أنه غير «الأدب الطفولي»، فأدب الطفولة هو الأدب الذي يتخذ مرحلة الطفولة موضوعا له، ويكتب عن أحوالها وخصائصها وتجاربها ..

أما « الأدب الطفولي»، فهو تلك المحاولات التي يكتبها الأطفال واليافعون والناشئة، ليبرزوا من خلالها مواهبهم الفتية التي تسعى إلى أن تتخلق جنينا ، ثم تولد لتنمو مرحلة مرحلة، وخاصة إذا وجدت المناخ والتربة المناسبين للنمو.

واستنادا إلى التعريف السابق لأدب الطفل، مع تمييزه عن المصطلحات المتداخلة معه، فيسر إدارة الثقافة الإسلامية التابعة لقطاع الشؤون الثقافية بوزارة الأوقاف بدولة الكويت ، أن تقدم لقرائها الكرام عموما ، ولليافعين والنقاد خصوصا، باقة جديدة من القصص الهادفة إلى غرس قيم التفاعل الإيجابي مع الحياة والناس ، والمحافظة على البيئة ، وإدراك قيمة الإيمان

والعمل والتعاون واحترام الرأي الآخر، وإن كل قصة من هذه الباقة تشكل لوحة قيمية « تزين» ذاكرة الطفل ووجدانه ،وتجعله ، بإذن الله ، أنموذجا إيجابيا في الأسرة والمدرسة والمجتمع.

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها ، وأن يمنح القاص،وغيره من كتاب الأمة، مزيدا من التألق والعطاء في ميدان أدب الطفل الذي يعتبر مدخلا فنيا سديدا إلى ربط جيل الناشئة باللغة العربية وقيم الإسلام . والله الهادي إلى سواء السبيل.



سر فرحة مصطفى

سر فرحة مصطفى

الولد «مصطفى» يبدو رائعًا اليوم، وجهه دائم الابتسام، يجلس في الفصل مترقبًا الدرس، ينظر إلى السبورة في انتظار بزوغ التاريخ وظهور الأحـرف.. صحيح أنها عادة مصطفى في الإقبال على الدرس بفرح وسعادة، لكنه اليوم أكثر فرحًا وسعادة. ظن أصدقاؤه أن هناك خبرًا سعيدًا في عائلته..

وقال آخر: ربما حصل على مصروف زائد.. أو لعبة جديدة، لكن الجميع يؤكدون أن مصطفى اليوم مختلف، مختلف جدًّا، وجهه مشرق، وعيناه مبتسمتان، وقلبه يسع الدنيا والعالم.

بعد انتهاء الحصة كان السؤال، وبعد انتهاء السؤال كان الجواب، والجواب كان كلمة واحدة: السلام.

اعتاد مصطفى وهو يسير في الشارع أن يلقي على مَنْ يقابله السلام، لكن الكبار لا يردون، ينظرون ناحية الصوت، والصوت صغير وصاحبه صغير، وكأنّ السلام لا ينفع مع مصطفى، حتى الذين أنصفوه كانوا يردون وكأنهم يترددون، أو يمنحونه نصف سلام، لكن اليوم كان شيئًا آخر، ففي أثناء ذهابه إلى المدرسة مرّ على رجل طيب، بادره مصطفى:

- السلام عليكم.

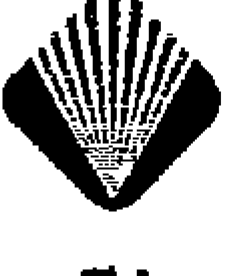
ولدهشته كان الرد قويًا وجليًا ورائعًا:

- وعليكم السلام ورحمة الله.

مُلئ قلب الولد مصطفى فرحًا فصار أكثر حبًا وصفاءً، وعاود من جديد إلقاء السلام على رجل آخر، وكان الرد رائعًا كذلك، وهكذا طوال سيره يلقي «مصطفى» السلام، والدنيا ترد على سلامه بأحسن سلام،

لذا فإنه سعيد بحق، ما أجمل أن يرد الناس على السلام بسلام، أما السلام من طرف واحد فكيف يكون سلامًا، هذا يا أصدقائي ما حدث بالتمام.

وهنا أدرك الجميع سر فرحة مصطفى، وعقدوا العزم على إنشاء السلام.



العودة إلى الصفصاف

ككم.. ككم، وحّدُوا ربكم، ككم ككم.. ككم ككم.

وتنشد اليمامة الساكنة في قلب شجرة الصفصاف، وينساب صوتها عذبًا جميلا رقيقا.. تنادي اليمامة من بعيد.. وتنادي العصافير والحمام، والكل يرد عليها ويأتي إليها، ولكننا لا نفهم ما يقولون؛ لأننا لا نفهم كلام الطيور، نحن نفهم فقط ماذا تقول اليمامة، ربما نختلف، ولكن الاختلاف لا يفسد في الود قضية، واحد يقول إنها تقول:

- ككم ككم.. وحّدوا ربّكم.

وآخر يقول إنها تقول:

- ككم ككم.. احرثوا زرعكم.

ويؤكد ثالث أنها تقول:

- ككم ككم.. أحبوا بعضكم.

- ككم ككم.. احذروا عدوكم.

وفي كل الحالات نحبها؛ لأننا نحب أن نوحّد ربنا، ونحرث أرضنا، ونحب بعضنا، ونحذر عدونا.. اليمامة تعرف كل شيء، تعرف الحب، وتصعد الصفصاف، وتهبط على الصفصاف، وتداعب السنابل، وتغني للبراعم.. لكن دوام الحال من المحال.. أهمل الناس الشجرة، تركوها عطشى، وتركوا الحشرات تعتري جذورها.. مالت فروع الشجرة كئيبة وذبلت بعض الأوراق.. بكت اليمامة وصارت تردد:

- ككم ككم.. اسقوا زرعكم.. لكن أحدًا لم يسمعها.. ولم يصدقها.

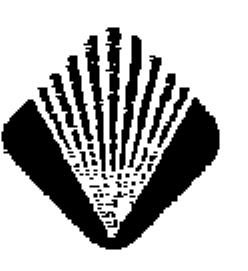
قالوا: كيف تعود الصفصافة كما كانت خضراء، فترد اليمامة بالجواب:

- اسقوا زرعَكم.

وتصر اليمامة على النداء، ضربوها لتمضي فمضت، حرموا عليها أن تقرب الصفصافة في النهار فرفضت، لكنها في الليل صارت تتسلل إلى الصفصافة، وصارت تنادي النائمين، وكلما اشتد الظلام علا صوتها:

- ككم ككم.. طال رقادكم.

- ككم ككم.. ككم ككم.



حصة الأستاذ حمزة

حصة الأستاذ حمزة

كان مدرس الحصة الأولى قد غادر الفصل، يا له من طيب حنون، مع خروجه عاد الخوف يدب في قلوبنا، وبدا الترقب على وجوهنا جميعًا بانتظار حصة الأستاذ حمزة، وما أدراكم به، مدرس غليظ، له قلب من حديد وعصا من حديد، وعينا صقر.. هكذا نقول عنه، لا يبتسم إلا قليلا.

غادرت مقعدي حتى باب الفصل، أترقب قدوم الأستاذ حمزة، لأعلن للجميع عن قدومه لكنه لم يأت، بدأت أصواتنا تعلو رويدًا رويدًا، وقلنا: لن يحضر، فالأستاذ حمزة لا يتأخر دقيقة واحدة، وبدأنا نغادر مقاعدنا، وخرجت أنا إلى السبورة وأمسكت بقطعة الطباشير، ورحت اكتب: « شيء جميل ألا يأتي الأستاذ حمزة».

فجأة سمعت صوت أقدام تجري نحو المقاعد، ثم حل صمت رهيب.. وقبل أن انظر نحو الباب، أدركت أنه وصل، امتدت يدي لتمسح ما كتبته على السبورة، لكنه أمسك بيدي، إنه الأستاذ حمزة، بشحمه ولحمه، لم يعاقبني، قال بهدوء:

- دع ما كتبت، وعدْ لمقعدك.

اتجهت صوب مقعدي، محني الرأس، كسيفًا، حزينًا.. كنت أود أن أبكي، أو أقول شيئا، لكني لم أستطع، ونظرت إلى وجه الأستاذ حمزة، كان يبدو عليه التعب، لكنه ابتسم وقال:

- فقط حزنت لأنك تخليت بسرعة عما كتبته، حين امتدت يدك لتمسح جملتك عن اللوح، إذا كنت مؤمنًا بما كتبت فلماذا تريد أن تمحو كتابتك؟.

وبكيت، بكيت كثيرًا، وقلت له:

- أنا آسف يا أستاذ..

قال الأستاذ حمزة:

- إنني حقًا أقدم لكم اعتذاري.

وعلت الدهشة وجوهنا، الأستاذ حمزة يعتذر لنا !..

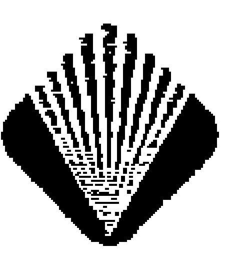
- ما تأخرت عنكم هذه الدقائق إلا لألم شعرت به، وقد تحسنت والحمد لله.. لكن يجب أن تعرفوا أنني لا أقسو عليكم إلا لأنني أحبكم.

يا الله!! هل لدى الأستاذ حمزة كل هذه الطيبة؟! اندفعت نحو السبورة ورحت أمسح بيدي الاثنتين ما كتبت، وقلت وأنا أبكي:

- اسمح لي يا أستاذ أن أكتب كلمة على السبورة، كلمة أوقن أنها من قلبي ومن قلوب زملائي..

ثم سطرت «نحبك يا أستاذ حمزة.. ونرجو أن تقبل أسفنا».

وردد التلاميذ ما كتبت بصوت عالٍ.



جائزة خاصة

جائزة خاصة

كانت المسابقات في المهرجان المدرسي متنوعة، شاركنا في معظمها، فاز بعضنا في الدوري الثقافي وآخرون في المواهب..

نحن الآن أمام المسابقة الترفيهية (أمامك مجموعة من الأطباق المملوءة بصنوف الطعام.. عليك أن تلتهمها قبل غيرك).

كانت هناك أطباق مملوءة بالأرز، وأخرى باللحوم، وغيرها بالحساء..

كنا عشرة حول مائدة كبيرة، والتلاميذ يشاهدون ويضحكون على شراستنا ونحن نلتهم ما أمامنا من طعام.

بدا الولد «ذكي» منذ أول طلعة عملاقًا، بدا كأنه سيكتسح كل من حوله، أحكم قبضته على طبق الأرز والتهمه، وكان بينه وبين التهام اللحم لحظة، غير أنه جمد فجأة، بدا كتمثال في مدخل موقع أثري، وبعدها ترك ما بيده من طعام.. لم نعره انتباهًا، ولم نسأله عن السبب.. ظننت أن الطعام لم يعجبه، وآخرون ظنوا أن طعامًا وقف في حلقه، وأعلن عن الفائز ولم أكن منهم، ولم يكن ذكي بالطبع.. اقترب الأستاذ من ذكي وسأله:

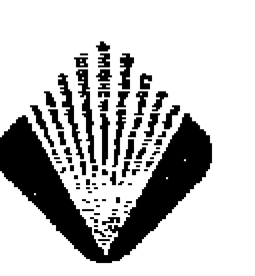
- لماذا توقفت عن التهام الطعام؟!

قال ذكي:

- تذكرت طفلا نحيفًا ممصوصًا يمسك وعاءً خشبيًا فارغًا ويلعقه في نشرة الأخبار فلم أرَ ضرورة لهذا السباق؛ أن آكل بشراهة ويظل هذا

الطفل محرومًا.

حط الصمت على الجميع وكأن على رؤوسنا الطير، وأعلن الأستاذ أن ذكي نبهنا لما كنا عنه غافلين.. لقد أخطأ منظمو المهرجان حين فكروا في إقامة هذه المسابقة التي لا تدعو إلى قيمة قدر دعوتها للضحك وامتلاء البطن، وما أجمل أن يلفتنا ذكي إلى إخوته الذين يعايشون الحرمان، وأعلن الأستاذ عن الفائز الأول في المسابقة حتى لا يحرمه حقه، ثم أعلن فوز «ذكي» فوزًا خاصا ومستحقًا، وحياه على إحساسه بإخوته في شتى البقاع.



حسام ومدينة الأحلام

حسام ومدينة الأحلام

ما إن يسمع حسام حكاية الجدة حتى يخلد إلى فراشه سعيدًا راضيًا.. حكت له جدته حكايات كثيرة حتى أصبح لديه رصيد من الحكايات الرائعة، سيحكيها لوالده عندما يعود من العمرة، لكن مشكلة حسام في ذلك الصوت الذي يسمعه في أثناء نومه في لحظات محددة، صوت أشبه بالأزيز، حينها يخرج حسام من مدينة الأحلام ويستيقظ على الفور، بعدها يتكوم تحت الغطاء ويظل يفكر وهو خائف حتى يغمض عينيه من جديد.

في الصباح حكا لجدته، ابتسمت وقالت:

- لعله في الحلم يا حسام.

لكن حسام يؤكد أنه في الحقيقة، وأنه كالمنبِّه يوقظه بانتظام، لكن الجدة تبتسم وتؤكد أنه صوت من مدينة الأحلام التي رآها حسام ذات مرة وحكا عنها.

وعاد حسام إلى فراشه، أغلق عينيه ونام، وفى الوقت المحدد جاءه صوت الأزيز.. استيقظ مسرعًا وقال:

- أشعر أنه قريب.. ربما كان هذا الصوت قادمًا من الشارع.

ومن جديد تكوم حسام تحت الغطاء ونام.. وفي الصباح قالت له جدته بعدما سمعته:

- عندما تدخل مدينة الأحلام اسأل عن هذا الصوت!

ثم ضحكت الجدة، وتضايق حسام وقال:

- سوف أرى بنفسي.

وفي الليل آوى حسام إلى فراشه وراح يفكر، أغلق عينيه ونام، وعلى الفور دخل مدينة الأحلام، وراح يبحث عن أحد يحل له لغز الصوت، وتعب كثيرا في البحث حتى رأى شيخًا طيبًا يجلس تحت شجرة وارفة الظلال.. يسأله حسام دون تردد، ربت الشيخ على كتفه في حنان وقال:

- عندما تسمع الصوت قم إليه ولا تخف، وستعرف جدتك أن ما قلته كان صحيحًا.

لكن كيف؟ هكذا سأل حسام نفسه قبل أن ينام، وما هي إلا دقائق حتى أغمض عينيه، وجاءه صوت الأزيز قويًا هذه المرة، استيقظ حسام ودق قلبه سريعًا، وجلس صامتًا يفكر، وتذكر نصيحة الشيخ، لم يتكوم هذه المرة تحت الغطاء، كان قد عرف اتجاه الصوت، نظر إلى النافذة المغلقة، قام إليها.. فتحها برفق، كانت دهشته كبيرة حين رأى صديقه «نور» وهو يفتح باب منزلهم، وعرف أن هذا الصوت هو صوت الباب، وقبل أن يغلق «نور» الباب ناداه حسام:

- من أين جئت يا نور؟

- كنت أصلي الفجر يا حسام.

وفهم حسام أن «نور» يصلي الفجر كل يوم، ويشهد له صوت الباب، قال في نفسه:

- ما أروعك يا نور.. وهنيئًا لك بالثواب.

حكا حسام لجدته ما حدث، وقال لها:

- إن الصوت كان حقيقيًا، ولم يكن في الأحلام.

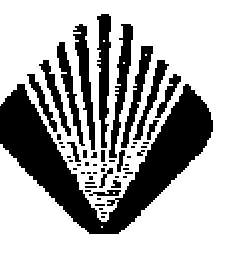
في اليوم التالي كانت الجدة نائمة حين سمعت صوت أزيز الباب،

استيقظت الجدة مسرعة تتبين الأمر، وقالت في نفسها:

- هذا صوت مختلف عن الذي سمعه حسام.

وبدأت تشعر ببعض القلق، واتجهت صوب الباب، ويا لدهشتها كان «حسام» قادمًا من صلاة الفجر. ابتسمت الجدة وقالت:

- ما أروعك يا حسام.. صليت الفجر وتركتني في مدينة الأحلام.



في انتظار السوق

ﻓﻲ انتظار السوق

تشرق الشمس قوية على وجهها، وتلمع قطرات العرق على جبهتها، وتبدو تجاعيد الزمن كأنها أنهار صغيرة ملأى بالماء.. إنها أم أيمن..

سيدة عجوز تخطت السبعين من عمرها، طيبة تخفي ابتسامتها علاماتُ السنين.. تفخر أن سوق البلدة أمام دارها، ترى حركة البيع والشراء.. وتصغي السمع إلى أصوات التجار، وقد تفاجئ أحدهم وهو يقسم بالله فتقول له: لا تكن حلافًا يا هذا!!.

ليلة السوق تكون قد ملأت القِرَب والأواني الفارغة، تفرح وكأنها تنتظر عيدًا، وتنسى فراق ابنها الذي تزوج ﻓﻲ بلدة بعيدة، تسمع قرقعة القِرْبة وهى تتجرع الماء من ثقوبها الضيقة، تضحك وتقول:

- بالهناء والشفاء لمن سيشرب.

أصبحت الآن أواني الغد ممتلئة، تقف غير بعيد تتابع الأواني المصفوفة.. تغلق بابها جيدًا وتأوي إلى فراشها، تغلق عينيها وتحلم، ترى السوق قادمةً من بعيد، وعربات القماش تتوالى، وأقفاص الفاكهة وصناديق السمك، تجري، يقولون: إن القدمين تكونان ثقيلتين عندما يجري الإنسان ﻓﻲ الحلم إلا أم أيمن تجري ﻓﻲ حلمها باتجاه السوق مثل الرَّهوان.

الصبح طرق على الباب، وأرسل من ثقب أعلاه خيطًا من خيوط الفجر الزكية، تستيقظ أم أيمن، وفجأة تتذكر أن السوق اليوم، تتقافز مثل طفلة صغيرة فرحة، تحاول ألا تتذكر فرحتها بالسوق وهي ساجدة ﻓﻲ الصلاة حتى لا يشغلها حبها للسوق عن حبها الأسمى لله.. تطيل السجود تدعو لابنها الغائب ﻓﻲ البلاد البعيدة، تدعو لأولاده ولزوجه؛

تدعو أن يحفظه من شر كل سوء، وما إن تفرغ من الصلاة حتى تكون قد فتحت أبواب دارها، أول نوافذ تفتح على السوق هي نوافذ أم أيمن، تتذكر دومًا قول الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف:

- دلني على السوق.

تفرح أكثر:

- السوق أمام داري.

تشرق الشمس وتملأ المكان.. ثم تعلو في الضحى، ثم تشتد رويدًا رويدًا حتى ترسل خيوطها الشديدة، تجف الحلوق، يشتد العطش، تحمل القربة إلى السوق، تقدمها للعطشان، يشرب، يرتوي.. يعلو حمده لله.. تفرح لأنها كانت سببًا في ذلك الحمد.

تحمل القربة تلو الأخرى، تفرغ الأواني فتملأها.. كم حاول كثيرون أن يقدموا لها قطعة من النقود.. كان الغضب يعلو وجهها ثم يشرق الوجه من جديد عندما يعيد النقود إلى جيبه.

يتحاشى من بالسوق أن يمنحها مالا، أم أيمن لا تسعى للمال، لكنها قد تقبل حبة فاكهة أو قطعة من الحلوى.. وفى نهاية السوق تجد الأولاد الصغار وقد تحلقوا حولها ليحصلوا على بركة السوق كما تطلق عليها أم أيمن..

ذات مرة سقت عطشان فألح أن يعطيها مالا، دمعت عيناها وقالت:

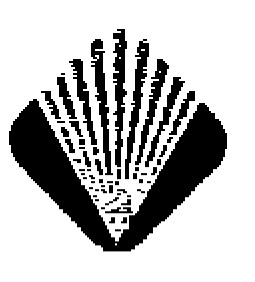
- ادع لي أن أرى ولدي قريبا..

رفع الرجل رأسه إلى السماء وقال:

- يا الله، حقق لأم أيمن أملها في أن ترى ولدها قريبًا.

وقد استجاب الله لدعوة الرجل.

وكم كانت فرحتها في ذلك اليوم فقد بدت في السوق التالي سعيدة.. كانت سعادتها لا حدود لها.



دور الـــوالـــي

دور الوالي

حينما وزع الأستاذ محمود الأدوار على أعضاء فريق المسرح أعطى الولد أحمد دور الوالي، كان الوالي في المسرحية لا يهتم بولايته ولا يهتم برعيته، يأمر فيُطَاع، وينادي فيلبى.. وبقية الأدوار الصغيرة للحاجب والجندي والمنادي والشاعر.. حتى الشاعر كان دوره صغيرًا؛ يقول وبطريقة ضاحكة بيتًا من الشعر فيمنحه الوالي دنانير كثيرة، وحين يقول:

- هذا كثير يا مولاي.

يرد عليه الوالي:

- إذن فاجعلوها أقل.

ويؤكد الشاعر أنه كان يمزح، ولكن الوالي لا يهتم به فيبكي الشاعر حظه.

لقد نجح أحمد في دور الوالي ونجح رفاقه في بقية الأدوار، بل أحبوها مثلما أحبوا الوالي كثيرًا.. كان الوالي ظريفًا، يحب مَنْ حوله لكنه لا يهتم بآراء الآخرين.

قام فريق المسرح بعرض مسرحيتهم على المسرح المدرسي في حفل كبير ونجحت نجاحًا كبيرًا.. صفق الحاضرون كثيرًا.. صفقوا للوالي وللجنود وللحاجب ولكل من يجلس مع الوالي..

بعد نجاح المسرحية نزع أحمد عنه زي الوالي، ولكن بقي يمارس دور الوالي، يصرخ في وجوه زملائه.

في البدء كان زملاؤه يردون عليه بالحوارات، ويفرحون بها ويتذكرون

العرض المسرحي الجميل الذي تم في المسرح المدرسي، وأعجب الجميع..
لكن أحمد لم يكفّ.. ظل يصرخ ويصيح ويأمر:

- أحمق.. خذ من بيت مال المسلمين.

أو يرد:

- غبي لا تفهم شيئًا.

ضاق زملاء أحمد كثيرًا بسبب تجاوزاته الدائمة،وامتنعوا عن مشاركتهم له، ورفض الحاجب أن يرد عليه، ولم يلتفت الجندي لأوامر الوالي، ويصرخ أحمد:

- أنا الوالي.. أنا الوالي.

ويرد عليه أحدهم:

- ما لي أنا والوالي.

وقرر أحمد أن يعتمد على نفسه وأن يؤدي كل الأدوار؛ فهو الوالي والجندي والحاجب والشاعر، وكان يغير صوته حسب مقتضيات الأمر.

والحق أن زملاءه أعجبوا به، لكنهم لم يعلنوا عن إعجابهم بموهبته حتى لا يزداد غرورًا، وظل أحمد يمارس كل الأدوار حتى تعب وضاق وسئم اللعبة وقال لنفسه:

- لكل واحد منا دوره ولا يمكن أن يقوم فرد واحد بكل الأدوار، وذهب أحمد إلى الجميع واعتذر لهم عن خطئه في حقهم، وأشاد بكل الأدوار المشاركة معه، وقال:

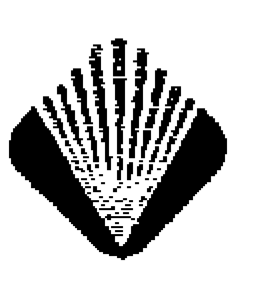
- لكل منا دور لا يمكن الاستغناء عنه.

قبل زملاؤه الاعتذار، وأشادوا بموهبة أحمد، وعاد فريق المسرح من

جديد، وعاد الجندي والشاعر والحاجب إلى صداقة أحمد، وأعادوه واليًا من جديد، وقال أحمد لزملائه:

- أنا معكم جندي.. وأريدك أيها الشاعر أن تغني دائما للوطن، فلست أنا الوطن حتى تغنى لي.

وكثرت العروض المسرحية لفريق المسرح، ونجحوا نجاحًا باهرًا في أدوار أخرى.. لكن مسرحية الوالي كانت درسًا للجميع.



حكاية طابع بريد

حكاية طابع بريد

كان مجرد طابع بريد ضمن مجموعة طوابع كثيرة مهملة في مكتب بعيد، لكن بعد أن اشتراه عبد الرحمن أصبح مستقلاً، قال طابع البريد في نفسه:

- يبدو أنني اقتربت من تحقيق حلمي.

كان طابع البريد مِنْ تلك الفئة التي تسمح له بالسفر إلى إحدى البلدان العربية، يركب الطائرة متصدراً الرسالة التي التصق بها، لكن ترى إلى أين سيطير هذه المرة، لقد حلم كثيراً منذ تمت طباعته أن يسافر إلى هناك، إلى فلسطين، حيث المسجد الأقصى المبارك، يرى ذلك الوطن الجميل، يتأمل هؤلاء الأطفال الذين ألفوا الموت، ولم يتخلوا عن وطنهم، لكنه يعرف منذ فترة بعيدة أن كل الطوابع -القديمة والجديدة- مازالت ممنوعة من السفر إلى هناك لذا فقد استعد الطابع أن يكون سفره هذه المرة إلى فلسطين، لكن على أي حال ما دام قد خرج من قائمة الطوابع النائمة في مكتب البريد، فسوف يسافر إلى أي بلد عربي، وهناك لن يجد نفسه غريبا. وضع عبد الرحمن الطابع فوق الرسالة، بدا الطابع جميلا رائعًا، دقق في الرسم الموجود على الطابع فرأى صورة السندباد العربي فابتسم قائلا:

- ما أروع السندباد! يلف كل البلاد.

ثم أطرق حزينا:

- لكن متى يصبح بوسعه أن يذهب إلى فلسطين، وهنا تذكر صديقه «غسان» الذي الْتَقَاه منذ أعوام، كان يطوف حول البيت الحرام، وفي مكة تعارفا وتآلفا وصارت بينهم مودة لا تنتهي، يومها سأله عبد الرحمن:

- أين تسكن يا غسان؟

قال له:

- في فندق بمكة اسمه فندق فلسطين. وعرف عبد الرحمن عنوان الفندق، وزاره عدة مرات، وتحدثا معًا عن ذكريات الطفولة والشباب، تشابهت الذكريات كأنهما كانا يعيشان معًا، وصار بينهما وصال.. بعدها عاد عبد الرحمن إلى مصر، وعاد «غسان» إلى فلسطين.

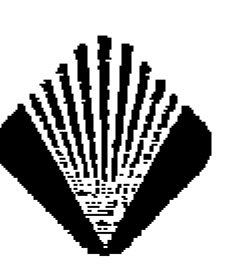
عاد عبد الرحمن يدقق في منظر الطابع وقال:

- نعم يا له من رائع.

- لماذا لا أكتب رسالة إلى «غسان»؟

وتساءل عبد الرحمن: كيف يمكن أن أرسلها إلى هناك؟ وعلى الفور قال لنفسه: سأرسلها إلى فندق فلسطين، حيث يتوافد الفلسطينيون إلى هناك كل عام، سأكتب على غلاف الرسالة اسم «غسان» كاملا وعنوانه في غزة، وسأطلب من مدير الفندق أن يسلمها لأي فلسطيني، وسوف تصل إن شاء الله.

وراح عبد الرحمن يخط رسالته إلى غسان، ويتابع الطابع في فرح، وهبت نسمة هواء لطيفة من النافذة فتقافز الطابع مع غلاف الرسالة فرحًا وكأنهما يتأهبان للطيران، وها هو عبد الرحمن يكتب العنوان بجوار الطابع – السعودية، ثم واصل العنوان حتى وصل إلى فندق فلسطين، ولم يصدق نفسه وعبد الرحمن يضع الرسالة في صندوق البريد وهو يبتسم وكله ثقة أن الرسالة ستشق طريقها من مصر إلى السعودية، وستصل إن شاء الله إلى يد «غسان» في البلد الجميل فلسطين.



قطار البلاد النائمة

قطار البلاد النائمة

كان بيت الولد سعد بجوار السكة الحديد.. وكان قطار الفجر يمر كل يوم على البيت كأنه استيقظ الآن، ويسرع كي يدرك صلاة الجماعة.

يستيقظ سعد لصلاة الفجر، وتبدأ رحلته اليومية مع بيته ودروسه ومدرسته.

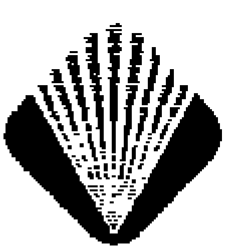
ذات يوم تغير طريق السكة الحديد قبل أن يصل إلى بيت سعد بمسافة وتحول إلى جهة أخرى، وأصبح القطار يمضي بعيدًا عن سعد، وبعيدًا عن البيوت التي اقتربت من السكة الحديد،لم يعد سعد يسمع مرور القطار وحركته السريعة النشطة؛ فقد دب السكون خارج البيت.. تُرَى من سيوقظك يا سعد؟ هكذا سأل سعد نفسه، ونام ومعه السؤال، أغلق عينيه وبقي السؤال في عينيه، وعند الفجر جاءت الإجابة عن السؤال، وجد سعد نفسه يستيقظ وحده في الموعد الذي اعتاده، وقال سعد لنفسه:

- ما أروع ذلك!! استيقظت بلا قطار، وهل من الضروري أن يصل القطار كي يوقظني من النوم؟!.

ثم ابتسم وقال:

ولماذا لا أصبح قطارًا، أستجيب لنداء الفجر وأجري مسرعًا في طريقي للصلاة.

وصار موعد صحوه ثابتًا حتى إنه كان يستيقظ ويرى على مبعدة القطار وهو يجري سريعًا؛ حيث تحول إلى مدن بعيدة لعلها لم تستيقظ بعد.



شاعر العصافير

شاعر العصافير

قال العصفور الصغير للعصافير الكثيرة:

- أريد أن أصبح شاعرًا.

لم تندهش العصافير لكلام العصفور الصغير؛ فقد سمعه الجميع وهو يحاول أن ينطق شعرًا؛ كان يستيقظ مبكرًا ويردد:

- صو.. صو.

ثم ينتهي من صوصواته وكأنه قد فرغ من الصلاة، وينظر إلى ناحية ما ويعاود الترديد، يقول:

- أغرد.. أردد.. وأزقزق وأنشد.

وأكثر من ذلك لم تسمع منه العصافير، قال العصفور الكبير:

- يا ولدى أنت بالفعل شاعر لكنك لا تأتي بجديد.. لا شيء سوى تلك الفقرة التي ترددها.. نريد المزيد.

قال العصفور الصغير:

- ومن أين لي بالمزيد؟

طار العصفور الكبير إلى قمة شجرة وأشار للعصفور الصغير وقال:

- تعالَ أيها العصفور الشاعر

طار العصفور الصغير واستقر بجوار العصفور الكبير وراح ينتظر.. ولما طال صمت العصفور الكبير قال العصفور الصغير:

- ماذا تريد؟!

قال العصفور الكبير:

انظر للأفق كم يبدو واسعًا.. أريدك أن تجوبه.. تعبر فوق الجسور والأنهار والجداول.. ستأتي عشك حاملا الحكايات، وساعتها سترى نفسك في ثوب جديد.

طار العصفور عبر الجداول والجسور.. اجتاز الشطآن والوديان ورأى صراع الحيوانات وهو ينظر من أعلى، وحط على الأرض ليملأ عينيه بالخضرة ويلتقط رزقه، وحين توارت الشمس خلف شجرة عملاقة طار عاليًا، أعلى من الشجرة، وقال وهو ينظر إلى قرص الشمس:

ما أجمل أن أدقق..

ما أروع أن أزقزق..

سبحان الله..

ما أحسن الأناشيد!!

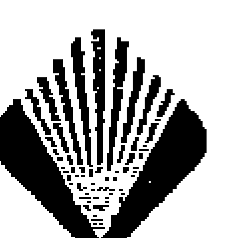
وسمع تصفيقًا حادًا من حوله.. التفت فرأى إخوته العصافير، قال العصفور الكبير:

- سنحتفل الليلة بشاعر العصافير.

هلل العصفور الصغير فرحا، وقال:

- الآن صرت شاعرًا !!

وارتفع سرب العصافير لأعلى واتجه إلى الموطن الحبيب.. في المكان الذي يجمعهم عند المبيت.. هناك حيث ردد الصغير لأول مرة بعضًا من الشعر الجميل.



صـاحب الكـرة

صاحب الكرة

لا أحد منا يستطيع أن يراجعه في قرار، نحرز في مرماه الهدف صحيحًا ولا يعترف به، ومعه حجته دائمًا، قد يزعم أن هناك تسللا أو مخالفة، أو أي سبب آخر، المهم أن يلغي الهدف، نتمسك بحقنا، نناقشه، وعندما تنفد حجته يسرع إلى الكرة، يلتقطها، يقبض عليها ويقول:

- انتهى اللعب.. إنها كرتي.. أنا حرّ.

ولأن الكرة جميلة مستديرة، ولها خطوط تلمع، ودوائر مثل الشموس الصغيرة، تتواثب كما ينبغي وتعلو كما يحلو لنا، نطرق في يأس، ونوافق على إلغاء الهدف، لذا قلما نهزم فريقه فهو دائمًا يلغي أهدافنا دون أن يعبأ بكلامنا، نغضب، نضيق، نوشك أن نتشابك معه، لكننا نتذكر، بعد قليل سيقبض على الكرة، ويقول:

- انتهى اللعب.. إنها كرتي.. أنا حر.

ولأننا نحب اللعب، ونحب كرته الجميلة التي لا نملك مثلها نرضى بقراره، ونلغي الهدف، ونلعب بلا هدف، ولا نملك غير ذلك..

ولأننا لا نحب الهزيمة فقد كنا نتسابق على أن نلعب مع فريقه، ننضم إليه فنضمن الفوز بأقل جهد، لكنه حتى في ذلك له الحق أن يختار من اللاعبين من يريد وعندما يعترض أحد يقول:

- إذن لا يوجد لعب.. كرتي.. أنا حر.

كنا نعرف كل مرة أنه حر، لكننا لم نكتشف من قبل أننا لم نكن أحرارًا، فهو دائمًا يقرر ويؤكد ويصيح في وجوهنا، فالكرة كرته، والكلمة كلمته، اكتشفنا جميعًا أن اللعب لم يعد له طعم، حاولنا الحصول على كرة نلعب بها ولا نشاركه اللعب، أو يشاركنا بالأصول – أصول اللعبة – وقانونها

لكننا لم نستطع الحصول على كرة، حتى كانت الفكرة، يا لها من فكرة، فكرة تجعل لنا كلمة، وتجعل لنا قرارا، قال أحدنا:

- لن نلعب الكرة.. ولن تهمنا الكرة.. وبالذات كرة الولد الذي يظلمنا، وقلنا:

- نمارس أي لعبة أخرى إلى أن نملك الكرة.. نملكها ولا تملكنا.

وذات مرة كنا نمارس لعبتنا الجديدة، يقدم كل واحد لغزًا ويحاول الآخرون الوصول إلى الحل، وجاء إلينا صاحب الكرة، كانت الكرة في يده، لا تزال جميلة وقال:

- هييه.. من يلعب معي؟

ولم يرد أحد، واصلنا لعبتنا الجديدة، وقدمنا ألغازًا مفيدة، وعاد يكرر السؤال، وكان الرد منا واضحًا.

- لا.. لا نريد اللعب

قال: أنتم أحرار

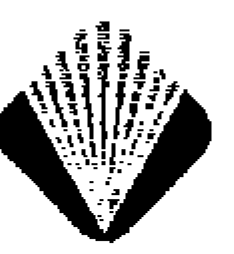
وفرحنا بالرد الذي قاله وهو ينصرف، وأسعدنا أن يكتشف أننا صرنا أحرارًا بالفعل، وصار لنا قرارنا، وصارت لنا كلمة.

ورأيناه من بعيد يحاول أن يلعب وحده، وينظر إلينا بين الحين والحين، وعندما ينادي أحدنا، يعتذر لأنه لا يريد أن يلعب بالكرة، فالكرة فيها ظلم، واللعبة الجديدة جميلة.

تكرر المشهد مرات ومرات، حتى رأيناه ذات مرة يأتي إلينا، كان يقترب منا في خجل، وعندما أدركنا جلس بجوارنا في صمت، وتابع لعبتنا الجديدة، وعندما فرغنا منها وضع الكرة في منتصف حلقتنا وقال:

- هذه كرة الجميع.. أنا آسف.. لن أظلم أحدًا أبدًا.

وفرحنا جدًا بكلام صديقنا، ووافقنا أن يشاركنا لعبتنا، ونظرنا إلى الكرة، كانت ما تزال جميلة، وعدنا نلعب بها، وكانت تتقافز فرحًا بنا وبصديقها الذي لم يعد يظلم أحدًا.



جولة جديدة

جولة جديدة

انزوى أحمد جانبًا وأوشك على البكاء، كان بداخله حزن شديد فابتعد عن كل التلاميذ، لقد ضاق من زملائه في الفصل؛ إنهم لا يفهمون ولا يقدّرون مواهبه، عندما تقدم أحمد لانتخابات أمانة الثقافة كان ينافسه زميل له اسمه عاطف، وزميله عاطف يعرف جيدًا أن أحمد هو خير من يمثل الفصل في الناحية الثقافية، صحيح أن عاطف يمتاز من ناحية الطول لكن المنافسة لم تكن حول من يفيد في لعبة كرة السلة.. لماذا نجح عاطف وصار أمينا للجنة الثقافية، ورسب هو.. وراح أحمد يستعيد ما قرأه من كتب وما يعرف من معلومات وما لديه من أفكار، فوجد كفته أرجح، وها هو يرسب!!.

قرر أحمد أن ينزوي بعيدًا، وأن يخاصم الجميع، رآه صديقه جمال، أسرع إليه كي يطيب خاطره، انتفض أحمد من مكانه وصاح قائلا:

- من فضلك لا أريد أن أحدث أحدا

أطرق جمال حزينًا وقال له:

- حتى أنا يا أحمد؟

قال أحمد بحدة:

- حتى أنت.. كلكم.

استدار جمال ليغادر المكان ثم خطا خطوة والتفت إلى أحمد قائلا له:

- يجب أن تعلم أنني اخترتك..

صاح أحمد في حسم:

- أعرف، لم أشك في ذلك.. اخترتني لأنك صديقي..

ابتسم جمال وقال:

- الحمد لله أنك ما زلت تذكر أنني صديقك.. لكني لم أخترك لأنك صديقي.. اخترتك لأنك الأحق.

قال أحمد:

- وما دمت تراني الأحق فلماذا لم يخترني زملائي؟!

قال جمال:

- بصراحة وصدق أنت المقصر يا أحمد.

- أنا؟!

قال جمال:

- نعم .. أنت.

- كيف؟!

- إن أردت الإجابة فانهض معي.

واستطرد جمال قائلا:

- يجب أولا أن تعترف أن الانتخابات تمت بشكل رائع.. وأنت كنت رائعًا عقب إعلان النتيجة حين توجهت إلى منافسك وصافحته مهنئًا، وقد قدم إليك الشكر.

قال أحمد:

- أين خطئي إذن؟

قال جمال:

- أنت بالفعل الأحق بالنجاح.. لكن كم واحدا في الفصل يعرف ذلك.. كم واحدًا يعرف أنك حفظت القرآن قبل دخولك المدرسة، وقرأت كتبا من العيار الثقيل مثل: «كليلة ودمنة»، والكثير من الكتب الدينية.. وأنك بارع في عمل مجلات الحائط.. ولديك أفكار كثيرة ومدهشة؟ للأسف لا أحد يعرف ذلك سوى اثنين أو ثلاثة من المحيطين بك.. لقد نصحتك بأهمية الإعلان عن برنامجك قبل الانتخابات لكنك ضحكت وقلت: سينتخبني الجميع، بل ومنعتني من عمل شيء، أما منافسك فقد كان متحركًا نشيطًا يعرض برنامجه على الجميع.

سكت أحمد قليلا، ثم نظر إلى صديقه في امتنان وقال له:

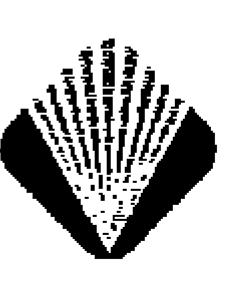
- كم أنت مخلص يا جمال.. شكرًا لك.. ولن أعبأ بالنشاط الثقافي بعد ذلك.

قال جمال:

- بل تصبح عونًا لصديقك الفائز، وساعتها سيرى الجميع جهودك.

نظر إليه أحمد وأومأ موافقًا.

وفي الاجتماع الأول الذي عقده أمين اللجنة الثقافية كان أحمد يدلي بأفكاره، وأظهر تفوقًا رائعًا على سائر فصول المدرسة، وفي الدورة التالية كان الجميع قد عرف أحمد وجهوده ومواهبه وأفكاره، فما إنْ تقدم حتى فاز على منافسيه، وصار أحمد أمينا للجنة الثقافية.. وبعد ذلك ارتبط اسم أحمد في المدرسة كلها بالنشاط الثقافي الذي يبرع فيه دومًا.



حكاية كل يوم

حكاية كل يوم

نعرف موعد قدومه من العمل، ونشعر بإيقاع خطواته وهو يدخل إلى البيت، يتنحنح مرة، ثم يتبعها بأخرى، نقول بلهفة:

- أبونا وصل.

ثم نسمع صوته:

- السلام عليكم.

نردُّ السلام، ونجري إليه بفرح، سيجتمع الشمل، ونتحلق حول مائدة واحدة، ثم تكون الحكاية، «حكاية كل يوم»، ومع أنها تبدأ دائمًا بخروجه من العمل وتنتهي بعودته، إلا أننا كل يوم نسمع شيئًا جديدًا،وأحداثا كثيرة، فما أكثر ما يرى أبي من حكايات في الطريق، في المصنع، هناك مشاهد يلمحها، يضعها في جيبه، ويعود إلينا محمَّلا بالمشاهد، ومنها يصنع الحكاية..

لا ندري لماذا كان وقعُ خطواته ثقيلا هذه المرة، وما الذي جعلنا نلحظ جميعًا أنه اجتهد ليتنحنح مرتين فخرجنا جميعًا، وحين أوشكنا أن نرى وجهه المعروق، فاجأنا بضحكته، وبدا وجهه مضيئًا جميلا، اتكأ على الحائط وقال:

- أظننتموني مريضًا؟! لا.. إنه الحرُّ يا أولاد.

لكننا تأكدنا أن تغيرًا قد حدث حين نسي «حكاية كل يوم»، وعندما تحلقنا حوله تذكرها، فقال:

- تريدون الحكاية؟

- نعم.

قال:

- لا بأس سنجعلها أربع حكايات.

ودهشنا..

وواصل أبي حديثه قائلا:

- ستكون أجمل حكايات..

وأشار لي وهو يمسح العرق من فوق جبهته، وقال:

- أنت تحكي حكاية..

وأشار إلى أخي الثاني:

- وأنت تحكي حكاية.. وأختك.. وأخوك..

اعتدت أن أقول لكم، فلماذا لا أسمع منكم الآن؟ هناك مشاهد في رحلاتكم إلى المدرسة.. وأشياء جديرة بالاهتمام تحدث هنا.

قلنا بفرح:

- والله فكرة..

وأخذنا نحكي، كل واحد حكا حكاية جميلة، واكتشفنا أننا نستطيع أن نحكي، ونظرنا إلى أبي وقد زاد البِشْر على وجهه وقال:

- لم أسمع أجمل من هذه الحكايات، هكذا يمكنكم أن تسمعوا الحكاية دومًا سواء كنت معكم أو خارج البيت..

واتفقنا مع أبي على أن نتبادل الحكايات.


دكان الشِّعْر

دكان الشعر

كان العم حسان بائعا أمينًا، يبيع الشاي والسكر والجبن والحلوى، وأشياء كثيرة نحبها، وكان يظن نفسه شاعرًا وكنا كذلك، كثيرًا ما ذهبنا إليه فنجده واقفًا في دكانه وأمامه ورقة وبها كلمات، وقبل أن يقضى حاجة الواقف يقول:

- اقرأ هذه.

يمسك الزبون الورقة..

يردف عمي حسان:

- هذه أحسن بضاعة عندي.

يقرأ الزبون، الكلام فيه جمال لكنه لا يستطيع تأكيد أنه شِعْر حقيقي..

كتب عمي حسان يقول:

إذا مررت على دكان	ورأيته عظيم الشَأن
فـاعلم دون سـؤال	أنــه ملك حســـان

ويأتي العم حسان للمشتري ويسأله عن رأيه، وقد يعترض المشتري على كلمة أو كلمتين فيحذفهما العم حسان ويقول:

- أنا شاعر يحترم آراء القرَّاء.

ويعاود الكتابة من جديد:

إذا مـررت على الدكان	وسمعت جمال الألحان
فـلا تسأل أيـن تكون	فأنـت عنـــد حســـان

وهكذا.. يقرأ العم حسان على المشترِين، ويعاود الكتابة من جديد، وقصيدته عن دكانه هي أهم قصائده، ظلت لفترة طويلة يحذف منها ويضيف.. ونسأله:

- لماذا الحذف والإضافة؟

فيقول: حتى نصل إلى المطلوب.

كان طيبًا يحب الناس ويحبونه ويبيع بالأَجَل لحين ميسرة، لم يكن يردني خائبًا، كان يعطيني ما يريده البيت، ويسجل ما علينا في دفتره، صحيح أنه يشاكسني ويقول:

- هذه المرة لا تستطيع أن تخرج عيبًا في القصيدة.

فأضحك وأقول:

- طبعا.. لأنني أشتري بالأجل.

لكن لا أدري ما الذي أغضبه في ذلك اليوم، كان يقف في صدر دكانه منحنيًا على دفتره، يقلب في تلك الأرقام، يجمع ويطرح ويقسم، ثم يطلق زفيرًا غاضبًا من فمه، أبلغته بما نريده من الدكان حتى يتيسر الحال، جحظت عيناه في غضب وقال:

- ألا يوجد غير دكان حسان؟ اذهب.. لن أعطيك.

صدمني عم حسان بكلامه، وأدرت وجهي عنه، وضاق صدري منه ومن دكانه البغيض!.

في البيت جلست حزينًا وطال حزني حتى لمحت الورقة والقلم وقلت: لا بد أن أنتقم.. وبدأت أحاول تقليد العم حسان، وبعد دقيقة كنت قد فرغت من الكتابة، فكتبت أقول:

إذا مررت على دكان	ووجدته حقير الشأن
فاعلم أنه كـــــان	وصــار في خبر كـــان

وفرحت بما كتبت، ربما صرت شاعرًا!! حسان ليس متعلمًا ويتصور نفسه شاعرًا، وكان لا بد أن تكتمل الفرحة وتصل إليه الورقة، وهذا هو ما فعلته، ألقيت الورقة أمامه ثم جريت مسرعًا إلى البيت، وجلست أفكر، الآن سيقرأ العم حسان.. أتصور ملامحه الغاضبة، إنه الآن يموت غيظًا..

وسمعت طرقًا على الباب، وخرج أبي ليعرف من الطارق، وسمعت صوت عم حسان، وأيقنت أنه سيحكي لأبي ما حدث وسيقرأ له الورقة، وربما طالبنا بما عندنا من نقود قبل أن تحين الميسرة..

ولكن المفاجأة كانت أكثر حدة، ألقى عمي حسان السلام، وصافح أبي، وأعطاه ما طلبناه للبيت واعتذر لأنه كان مشغولا في حسبة عويصة، وأن المحروس جاء وقتها، ثم كانت المفاجأة الكبرى : عمي حسان يضحك عاليا ويقول لأبي:

- تصور ابنك سيصبح شاعرًا أحسن مني، أرْسِلْه لنتناقش فيما كتب.

وشكره أبي كثيرًا، ثم ذهبت إليه خجلا، فإذا به سعيد يضحك وقال:

- ما كل هذا الجمال، أتخبئ مواهبك عني.

قلت له وأنا أبتسم:

- في الحقيقة هي كانت مختبئة.. وأنت الذي أخرجتها.

قــال:

- تصور.. لقد أخبرني الأستاذ علي مدرسُ اللغة العربية أن هذا النوع من الشعر اسمه الهجاء.

ثم أضاف:

- وأن ما أكتبه في دكاني كان مدحًا.

وأطرق خجلا:

- كنت أمدح نفسي.

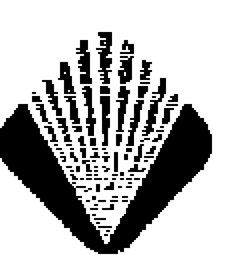
وقلت بخجل أكبر:

- وما كان لي أن أهجوَ دكانك؛ فهو صاحب فضل علينا.

قال عمي حسان:

- زاد فضلك وكثر شِعْرك.

ومن يومها صار بيننا وصال شعري، وبسمة تشع ضياءً حين نلتقي.



رحلة إلى بساط العُشْب

رحلة إلى بساط العُشْب

كانت هناك قرية بعيدة تفصلها عن المدن والقرى مساحات من القيظ والرمال، كانت آمنة مطمئنة حتى زحف إليها «الوباء الجديد».. اجتمع أهل القرية جميعًا واتفقوا على أن الريح هي التي حملت إليهم هذا الوباء اللعين، فلا يمكن للوباء الزحف وحده حتى يصل إليهم..

وبدأ الوباء اللعين يعمل بلا هوادة، فلا يمر يومٌ إلا وتخسر القرية أحد أفرادها..

اكتشف رجل من أبناء القرية علاقة هذا الوباء بالريح الآتية، وقدرة أحد الأعشاب النابتة في الصحراء على علاج المرضى سريعًا..

لقد قرأ كثيرًا وعرف كثيرًا، وعاش قصة طوية مع هذا المرض في إحدى أسفاره..

المؤلم لهذه القرية أن مَنْ يملك هذا العلاج وهذه المعرفة لم يكن إلا بخيلا نذلا،لا يهمه صنع الخير بقدر ما يهمه جمع المال..

كان الرجل يتسلل ليلا إلى الصحراء ينتزع ما يقابله من هذا العشب ويملأ ما معه من أكياس، وكان حريصًا ألا يرافق أحدًا في رحلته لجمع العشب حتى لو كان أعز أقربائه، إنه يعرف أن السر إذا تجاوز اثنين شاع ولم يعد سرًّا..

وهناك في حجرته كان يقوم بطحن هذا العشب، وإضافة بعض الشعير إليه، بعد ذلك يقوم بتدويره في شكل كرات صغيرة..

إن عَشْر كرات صغيرة كافية للقضاء على هذا المرض اللعين..

وابتسم الرجل وقال:

- لا.. ليس لعينًا إنه سيكون سبب ثرائي.. فلماذا أسبه؟! آسف أيها المرض..

أعلن الرجل عن استعداده لعلاج من يحب، عرض مبالغ كثيرة، توافد القادرون إليه، كانت النتائج مدهشة، كانت خمس حبات كافية لإزالة المرض تمامًا، بينما ارتفع عدد الهالكين الفقراء،لم يشغله ذلك الأمر لقد عاهد نفسه أن يكون قلبه مثل حجر الصوان، لا يخفق أبدًا ولا يهتز بين جوانحه، حتى إنه ذات ليلة وهو يتجه إلى الصحراء لإحضار العشب سمع أمًّا تبكي وتقول:

- يا رب، اشفِ ولدي.

- واصل مضيه بعيدًا غير عابئ بما سمع، أشرق الصبح مبتسمًا على غير عادته، زحف الجميع نحو الرجل المعالِج؛ الغني ليحصل على العلاج، والفقير ليبكي ويلح في طلبه، لعل قلبه يرق ويلين.

لكن الرجل لم يخرج من البيت..

لم يستطع الذهاب ليلا إلى الصحراء، ونفد ما عنده من علاج وعشب، انتظر الناس كثيرًا ولم يخرج الرجل، لقد كان هو الأمل بالنسبة لهم، الأغنياء يدفعون، والفقراء ينتظرون لعل قلبه يرق ويلين..

- هيا أيها الناس ادخلوا الدار.. لعل مكروها أصاب الرجل.

ودفعوا الباب دفعة واحدة، كان الرجل في حالة إعياء شديدة، غارت العينان واصفرت الملامح، ودب النحول في جسده، قال بانكسار:

- لقد أصابني المرض.

صاح الكل:

- العلاج معك يا رجل.

قال بحزن:

- لقد انتهى ما عندي من دواء ولم أستطع صنعه بسبب مرضي.

قال أحد الشباب:

- قل لنا أحد عناصره.. وكيف يمكن أن نصنعه؟

سكت الرجل ولم يرد:

- تكلم يا رجل..

صاح الرجل:

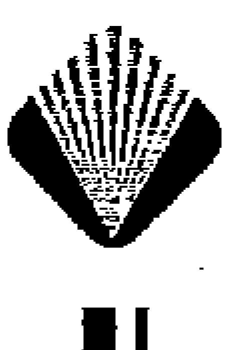
- لكــن..

قاطعه الجميع:

- تكلم أيها الرجل.

- وراح الرجل يتكلم، وبالليل كان الجميع يجمع العشب، والكل يصنع لنفسه ولأسرته الدواء، واختفى الوباء من القرية..

قيل: إن الريح حملته بعيدًا، وقيل إنه زحف وولى هاربًا، ولم ينسَ أهل القرية أن يحملوا حباتٍ للرجل المعالِج، لكن ويا للأسف وصلوا بعد فوات الأوان.. لقد ماتَ الرجل.. هكذا أُخبرتهم رائحة المكان، لكن الرائحة تلاشت بعد ذلك؛ قيل إن الريح حملتها بعيدًا، وقيل إنها ولت في جنح الليل قبل أن يسطع القمر في منتصف الشهر الهجري.



الهدف الرابع

الهدف الرابع

ومرة أخرى عاد أحمد ليلعب الكرة في الشارع، وعادت الكرة تدب وتدب، وصوت أحمد يعلو مع الكرة حتى يسمعه زملاؤه فيخرجوا إليه مسرعين، وتعلو الأصوات.. هكذا اعتاد أحمد منذ فترة.

اليوم ركل أحمد الكرة فذهبت بعيدًا، تابعها أحمد مسرعًا، ظلت الكرة تجري وتجري، وأحمد يجري وراءها، الكرة رأت مكانًا منخفضًا فتدحرجت إليه، وانطلقت تجري من جديد، نزل أحمد سريعًا إلى المنخفض، لكن الكرة سبقته، جرى بأقصى سرعة، لكن الكرة كانت أسرع، وجدت الكرة بابًا مفتوحًا لأحد البيوت، دخلت سريعًا، وعلى الفور تابعها أحمد ولم ينتبه..

حين دخلت الكرة وخلفها أحمد كان صاحب البيت وأسرته يتناولون الغداء، اصطدمت الكرة بالمائدة، نهض صاحب البيت مهللا، صفق لأحمد وقال وهو يبتسم:

- هدف رائع!

ثم واصل وقد ذهبت ابتسامته:

- هدف رائع، نعم... لكنه ليس في مكانه.

ابتسم أحمد في أسف وقال:

- أنا آسف.. آسف جدًا يا عمي.. الكرة هي التي تدحرجت، لم أتمكن من الإمساك بها قبل أن تصل إلى هنا.. واقتحمت المكان ودخلتُ معها دون استئذان.

قال صاحب البيت مذكّرًا:

- هذا رابع هدف تحرزه في بيتنا يا أحمد.. أليس كذلك ؟

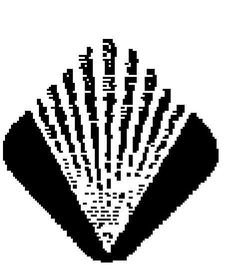
أطرق أحمد في خجل، وواصل صاحب البيت حديثه قائلا:

- هناك أماكن مخصصة للعب أفضل بكثير من اللعب في الشارع؛ في الشارع لا يمكنك الاستمتاع باللعب، ولا يمكن لحركة الشارع أن تستقيم باللعب.

وبعطف جميل أعاد صاحب البيت الكرة لأحمد، فقال له أحمد:

- شكرًا يا عمي.. شكرًا.

ووعده أن يكون هدفه دومًا في مكانه، وأخذ كرته ومضى.



جمعةٌ لا تُنْسَى

جمعةٌ لا تُنْسَى

كان مسجد القرية قد امتلأ عن آخره بالمصلين، وكان الخشوع والصمت يعمان أرجاء المكان، واتجه الشيخ نحو المنبر، لاحظ أحمد أن الشيخ يخطو نحو المنبر بصعوبة، ورأى وجهه شاحبًا، يستند على المنبر كأنه يخشى أن تزل قدمه..

لا يعرف أحمد هل لاحظ أحد غيره ذلك أم أن ذلك خُيِّل إليه، لقد اعتاد أحمد أن ينتظر الخطبة من الجمعة إلى الجمعة، ما أشد شوقه إلى سماعها من ذلك الشيخ الرائع!! إنه يفيض كالنهر على مستمعيه، وهو يسمع بخشوع، بل ويحفظ أيضًا ما يردده الشيخ من أحاديث وآيات وحكايات، فيطمئن قلبه وتبتهج سريرته.

ويدأ الشيخ يصعد أولى درجات المنبر، وأحس أحمد أن الشيخ قد مال بجسمه قليلا ناحية اليسار، وكادت قدمه أن تزل لولا أنه أمسك جيدا بالقائم الخشبي في مقدمة المنبر، وواصل الشيخ صعوده -أو حاول ذلك- فرفع قدمه الأخرى وإذا به يميل، ويقاوم، ويقاوم السقوط، وتشبث جيدًا بالمنبر، وسقطت العمامة فجأة، وأسرع بعض الجالسين، وأمسكوا الشيخ وأنزلوه، وبدأت الحركة تدب في أنحاء المسجد، واحد مرر كفه المبلل بماء الوضوء على وجه الشيخ، وآخر قرَّب العطر من أنفه، وثالث فتح طريقًا إلى صدر الشيخ كي يستقبل الهواء، وأسرع أحمد والتقط عمامة الشيخ التي وقعت، وأعادها إلى رأس الشيخ، وبدا له أن الشيخ قد أفاق قليلا فحمد الله، ولكن هل يستطيع الشيخ أداء خطبة الجمعة؟

أيقن الجميع صعوبة الأمر؛ فالشيخ يبدو متعبًا ولا أملَ في ذلك، وبدأت نظرات الجميع تطوف أرجاء المسجد، كانت كل النظرات تبحث عمن يقوم، معظم الجالسين لا يجيدون إلا زراعة الأرض، ومن يجيد من

الحاضرين القراءة والكتابة ما زال غضًا صغيرًا..

ويقف أحمد بسنوات عمره التي تضعه بين الطفولة والشباب، يبحث هو الآخر بعينيه عمن يقوم، غير أنه ارتجف حين حدق فيه أحد المصلين، حاول أن يهرب بعينيه إلى زاوية أخرى في المسجد، ثم حمد الله عندما رآه ينظر إلى ناحية أخرى، وبدأت الهمهمات في المسجد..

- ماذا نفعل؟

- هل تروح الجمعة؟

صدمته الكلمة الأخيرة، كيف تضيع الجمعة، الجمعة كما قال شيخنا «جماعة» بل روعة وطاعة، كيف تروح؟! تروح الروح إن راحت الجماعة، وبلا جماعة يبدو كل شيء بلا روح.

ونظر أحمد لوجه الشيخ فرأى الدموع تتساقط من عينيه، وبدا وجهه حزينًا مصفرًا، يحاول جاهدًا القيام غير أن قوته تخونه، كلما حاول يعود كما كان..

وكاد أحمد يبكي حين قال أحد المصلين بصوتٍ عالٍ:

- نصلي الظهر إن شاء الله.

وما أن سمع أحمد ذلك حتى قال في نفسه والفزع يزلزل كيانه:

- لا بد أن نصلي الجمعة.. هذا يوم نجتمع فيه.. وددت لو نجتمع كل يوم، حتى اليوم يريد أن يفلت من أيدينا!! آه، لكن كيف؟ لماذا لا تنهض يا أحمد؟

وأخذ أحمد يفكر، وبدأت حكايات الشيخ تتجلى والآيات والأحاديث تترى..

- ولمَ لا يا أحمد.. لديك ما سمعته من الشيخ أيها المتعلم.. لديك رصيد من القرآن تحفظه وكذا من الأحاديث.. وتعطر قلبك حكايات الشيخ، وليس هنا مَنْ هو أعلم منك في الحاضرين.. أعوذ بالله من الكِبْر.. لست أقصد.. القصد هو الجمعة يا أحمد كيف تروح يا ابن عباس.

وانتفض أحمد من مكانه، وبدأت العيون تتجه نحوه، ماذا يريد ذلك الفتى الصغير، إنه يتجه نحو المنبر، الأمر يبدو مدهشًا، لكن أحمد واصل سيره، ولم يلتفت خلفه، كان ينظر ناحية المنبر فحسب، حتى إذا بلغ المنبر أو كاد ألقى نظرة أخيرة على وجه الشيخ عسى أن يستمد منه البيان والقوة، فرأى وجه الشيخ وقد أضاء وبدأ يعلوه السرور، وأشار الشيخ بيده لأحمد كي يقترب،واقترب أحمد من الشيخ، رفع الشيخ العمامة من فوق رأسه ووضعها على رأس أحمد.

حينئذ شعر أحمد بقوة وثقة لا حدود لهما، وأحس بالكون وكأنه يبتسم له، ورأى وجوه المصلين بعضها يعلوه الفرح والبعض يعلوه القلق.

- هذا الشاب الصغير؟!

وصعد أحمد المنبر، استقام ورفع رأسه، أنزل ذراعيه إلى جنبيه بقوة فصار كبيرًا، وكل الأنظار تتجه إليه، كادت قدماه تفلتان وتخونه قواه، لكنه تمتم مستغفرًا، ثم رفع صوته عاليا:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وسمع الرد مدويًا، فسرتْ القوة في بدنه ودمعت عيناه

- وعليك السلام ورحمة الله وبركاته

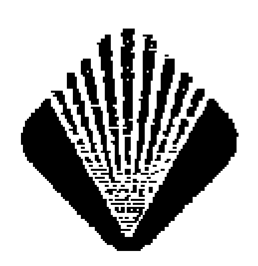
وارتفع صوت المؤذن من جديد نديًا، فاستقرت روعة الصوت في قلبه،

وأزاحت ما تبقى فيه من خوف، وعند ختام الأذان كانت العيون لا تزال ترقبه..

قال في نفسه:

- عليَّ أن أغمض عيني وأنطلق.

وبدأ بالحمد لله فوجدها في فاتحة الكتاب، ووجدها آخر دعاء المؤمنين ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾،وأخذه خيط الحمد إلى خيوط، جرى بداخله نهر ينساب مجراه الصغير، وتدفقت من بين شفتيه الآيات البينات وأحاديث سيد الخلق، وتهادت إليه الحكايات التي كان يرويها الشيخ تأكيدًا لمعنى الحمد فصار يرددها، وأضاف إلى تفسير الشيخ لإحدى الآيات تفسيرًا قرأه في أحد الكتب، وبدأ الفرح على وجوه المصلين، وانطلقت دعواتهم العطرة أن يحفظ الله أحمد بن عباس ويبارك فيه، وانبسطت أسارير الشيخ، لقد تحققت الجمعة.. غير أنها جمعة لا تنسى.



أغلى مِسْبَحة

أغلى مِسْبَحة

ها هي لحظتك يا هنداوي..

أخذ يدفع حبات مسبحته بسرعة غير عادية.. وأحس بقلبه ينتفض في صدره وانحدرت دمعة تدعوه.

اعرض على الشيخ «رشدي» مشكلتك يا هنداوي..

كان الشيخ في صدر المحفل والساحة تكتظ عن آخرها بالجالسين؛ فقد خرجوا لتوهم من الجامع.

الشيخ يأتيه الناس من كل حدب وصوب يسعون لكلمته.. كلمته تنبع من القلب وتتلقفها القلوب وتطرب لها الآذان.

نحن في حاجه لبناء مسجد جديد تتردد فيه كلمة التوحيد يسبِّح فيه بالغدو والآصال رجال، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

ويتسابق الجالسون.. يخرجون كل ما يستطيعون إخراجه من مال حتى يرتفع البناء.

نحن في حاجة لبناء مستشفى يعالج فيه المرضى الفقراء الذين لا يملكون مالا، جعلكم الله لهم مالا وسندًا، فهل من مستجيب؟

وتزحف الأقدام للأمام، وتدخل الأيدي إلى الجيوب وتسمع صوت انفتاح حافظات النقود.. كرم بلا حدود.. والنفوس خاشعة خاضعة،وشمس القلوب ساطعة مشعة بنور لا مثيل له يملأ القلوب.

وها هو الشيخ والدنيا حوله والساحة تمتلئ بالمصلين، والقلوب تواقة إلى عالم جميل ليس فيه ظلم، يلتحم فيه الجيران ويسود فيه الأمان ويخسأ فيه الشيطان، ويذهب الشر بلا رجعة..

ها هو الشيخ، اعرضْ عليه مشكلتك يا هنداوي..

مشكلتك الحقيقية يا هنداوي أن الخجل يقف أمامك حائلا دون ما تريد. ألم يقل الشيخ: « لا حياء في الدين»؟ ألم يذكرنا بقول نبينا الكريم بأننا جميعًا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى..

آه.. كيف أستطيع أن أقول ومن أين أبدأ.. أسألك يا رب أن تعينني.. أنا العبِد الضعيف الذي بلغ من الكبر عتيًا.. امنحني القدرة كي أنتصر على نفسي..

آه وجدتها.. أحمدك يا ربي أن هديتني إلى طريقة لا تخجلني ولا تظهرني في موقف الذليل.. ليس صلفًا يا ربي أو غرورًا.. إنما أريد ألا أكون ذليلا إلا لك؛ فالمذلة لك عزة.. والمذلة لعبد مثلي هوان وضياع.. نعم لقد وجدتها.. هذه ورقة وهذا القلم سوف أكتب للشيخ كلمة، وسأثنيها وأعطيها لمن سبقني في الصف قائلا له: أوصلها للشيخ، قل له من عند عبد الله..

وسيقول الذي سبقني للذي يسبقه: أوصل هذه للشيخ، قل له من عند عبد الله..

وهكذا تنتقل الورقة بلا ضجيج ولا جلبة ولا صياح يؤذي.. ولا حرج يكون، حتى تصل لصدر المحفل حيث يجلس الشيخ ويقرأ الورقة، لكن ماذا تكتب.. المهم أن تكتب، أن تستطيع إيجاز حياتك البالية في سطور.. أن تكون صادقًا مع نفسك ومع ربك.

وأخذ القلم يتحرك سعيدًا على الورقة يخطُّ حروفًا وكلمات، بينما تتساقط الدموع من عيني هنداوي على الورقة فتبللها، وما أن انتهى من ذلك حتى طوى الورقة عدة طيات وغمز الذي يسبقه وأعطاه إياها

كي يعطيها للذي يسبقه، لكنه وضع المسبحة في الورقة قبل أن يطويها، وأخذت الورقة تنتقل للإمام من واحد لآخر.. ومن صف إلى صف..

تُرَى ماذا تحمل هذه الورقة غير المسبحة؟ هنداوي وحده الذي يعرف أنها تحمل موجزًا لحياته البالية.. هنداوي وحده قلبه يتضرع وينتفض كلما تقدمت الورقة، والشيخ في صدر المحفل يفيض على الجالسين بعلمه الغزير.

وهنداوي يرقب الورقة بالمسبحة تتحرك للأمام، وما أن وصلت ليد الشيخ حتى خيل إليه أن قلبه قد توقف عن الوجيب.. فتح الشيخ الورقة.. قرأها بلا صوت كعادته.. لعل بها سرًا لا ينبغي أن يطلع عليه أحد، ثم أدرك أخيرًا وبفطنته أنه ليس بالورقة ما يخجل، فلم يكن اسم صاحب الورقة موجودًا بالورقة، فقرأ على الجالسين بصوت عالٍ وقوي.

– بسم الله الرحمن الرحيم.. يا شيخنا الفاضل بارك الله فيك وأكثر من أمثالك، فالأمة بك دائما للأمام.

إن الإمام الحق من يشعر بآلام الناس ويسعى جاهدًا للتصدي لها.. أنا يا أخي الكريم شيخ بلغت من الكبر عتيًا.. تجاوز وجودي في تلك الحياة سبعين عاما.. كم زيفت.. وكم سرقت.. وكم تجاوزت حدودًا.. حتى أشقائي لم يسلموا مني.. كنت فظًا غليظ القلب لا يعرف الحب إلى قلبي طريقًا، ولا أحترم شقيقًا ولا صديقًا.. وجهتي المال ورسالتي من أجل ثراء لا حدود له، وقد كان.. وكثر مالي.. واشتد بأسي.. لا تسأل كيف جار عليَّ الزمان.. وكيف فقدت كل هذا السلطان؛ لأن ما أصابني من فقر هو من نفسي.. وكل ما أود قوله إنني لم أعد أملك سوى هذه المسبحة الرقيقة، وهي من رائحة الماضي الذي لا أود ذكره؛ لأنه يذكرني بخسة نفسي.. لقد ابتعتها يومًا بخمسين جنيها أيام كنت أملك الجنيهات.. ولم

أعد قادرًا على العمل وقد صرت شيخًا كبيرًا.. وأود أن أحيا بقية عمري بلا مذلة.. خذ هذه المسبحة وأعطني ثمنها، ومن الآن فصاعدًا فليكن تسبيحي على أصابعي.

وما أن انتهى الشيخ من القراءة وصوته تهدج بالبكاء، والصمت قد حل في ربوع المكان.. قال الشيخ: من يبتاعها من أجل أخيه، ونظر في المسبحة وقال: كل حبه عليها لا إله إلا الله.. قال أحد الجالسين: أنا آخذها بألف.. وصاح آخر وأنا أخذها بألفين.. وصاح ثالث قائلا:

ثلاثة..

أربعة..

خمسة..

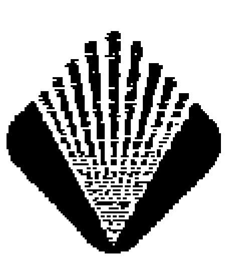
ودمعت عينا الشيخ.. هذا مبلغ كاف لمساعدة المحتاج في مثل هذه السن فنادى:

فليتقدم من يدفع خمسة وليستلم المسبحة، وليأتي صاحب الورقة والمسبحة بعد أن ينصرف الجميع، وهنا انتفض هنداوي من موضعه مفاجئا الجميع:

يا لكرمكم الذي ليس له حدود.. كم ظلمتكم وسرقتكم.. والآن تصفحون عني وتمدون لي يد العون، لا أريد كل هذا المال.. إن آفتي كانت بسببه.. يكفيني ربعه.. الحمد لله.

قال الشيخ: قضي الأمر يا رجل، هذا مالك إن شئت فأنفق منه ما تيسر على الفقراء.

رفع هنداوي يده شاكرا ربه.. وانتقل الشيخ رشدي عباس لجواب آخر عن سؤال سأله أحد الشباب.



حجرة القرآن

حجرة القرآن

بالأمس رأيته في المنام -الشيخ جمعة بشحمه ولحمه-نحيفًا كما كان، وذراعه اليسرى العاجزة منذ الصغر، وقد رفعها إلى صدره ووضع عليها المصحف الشريف، تماما كما كان في الدنيا، وأخذ يقرأ بصوت خافت: ﴿ طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ ﴾

هرعت نحوه: سيدنا..؟!

تماما مثلما كنا نقول له ونحن صغار، ربت الشيخ جمعة على كتفي وقال:

- ما شاء الله.. لقد صرت رجلا يا ولد..

قلت له:

- يا سيدنا.. لست وحدي، ولكن هناك الكثيرون من أبناء قريتي الذين كنت تحفظهم القرآن الكريم، وقد صاروا مهندسين وأطباء ومحامين وأدباء.

تهلل وجه الشيخ قليلا ثم أطرق، ومرت سحابة في وجهه المضيء وقال:

- كنت أعرف أنكم ستصيرون هكذا.. فمن يتربى على القرآن الكريم لا بد أن يصل إلى ما يريد.. لكنى حزين؟

- حزين؟ سلامتك يا سيدنا.. ما الذي يحزنك؟

- كنت أحفظكم في الكُتَّاب، فأين هذا الكتاب في قريتنا؟ أين؟ أين؟

- ومضى يكرر السؤال، ونبرة الحزن في صوته، ثم استدار ومضى،

مضى سريعا من أمام عيني.

مضى الشيخ جمعة كطيف جميل، هرعت خلفه، كنت أود أن أمسك به وأسأله المعذرة، لكنه اختفى.

كم أحبه وهو يريد يوجهنا: اقرأ يا ولد.. قف.. ابدأ من الأول ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾

ونحن نقرأ.. وترى الحجرة الواسعة مكتظة بنا نحن الأطفال، تتداخل أصواتنا، نشكل خلية كبيرة، والشيخ جمعة بيده عصا من جريد النخل، شقها لتصبح هينة لينة على الرأس..

العصا لمن عصا يا ولد.. اقرأ من أول: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾

ونقرأ.. ونقرأ، والشيخ جمعة يهز رأسه ويتابع، حتى إذا سمع لفظة تئن أشار بعصا من جريد النخل حتى تستقيم اللفظة.

والشيخ جمعة إن سار في أي مكان تبعته العيون بحب وإكبار، وهو يمضي والمصحف على يده العاجزة، يتمتم حتى إذا ما قابله أحد بادره بالسلام، وغالبا ما يستوقفه أحد المارة كي يسأله في مسألة فقهية أو يوصيه خيرًا بولده، فيقول الشيخ:

لا فرق بين زيد وعبيد.. لا بد أن يحفظ الجميع القرآن الكريم، ويمضي متمتمًا..

تبدو السماحة على وجهه، كان طيبًا، وكان رائعًا، وكان الشيخ جمعة يتركنا ننصرف من الكتاب قبل أذان الظهر بدقائق، أما أصحاب الحمير فكان يتركهم يذهبون قبل الظهر بربع ساعة.

وأصحاب الحمير هم الأولاد الذين أتوا من القرى والعزب المجاورة ممتطين الحمير كي يتعلموا القرآن الكريم على يد الشيخ جمعة الذي

يعرفه الجميع.

وكان أصحاب الحمير في عودتهم يبدون كقافلة كبيرة، يحملون المصاحف والألواح والكراسات، يمضون في وسط الحقوق الخضراء ويقرؤون معا بصوت عالٍ، ولا يجرؤ أي حمار على النهيق؛ فالقرآن الكريم يُتْلى، وصوت الحمار هو أنكر الأصوات..

مشهد رائع يتكرر كل يوم فتتمايل الأشجار وأعواد الأرز وأوراق أشجار القطن، كلها في حالة فرح عارمة، وكأن كل شيء في الطبيعة يشارك أصحاب الحمير التلاوة!!.

وذات يوم كنا نردد خلف الشيخ جمعة بعض الأذكار (سبوح.. قدوس.. رب الملائكة والروح) حين دخل علينا العم فارس، كان عاري الرأس،ملطخ الثوب، وبوجهه جروح، وكف الشيخ جمعة عن التسبيح واتجه نحو العم فارس..

- ما الذي أصابك يا فارس؟

أغثني يا رجل القرآن والدين، جاري هدم داري في أثناء قيامه بهدم داره، وحين عاتبته توغل في داري وزعم أن له حقًا فيها.

- لكننا نعرف أنها دارك، وما أنت من الذين يأكلون حقوق الآخرين.

قال فارس:

- أجرني يا رجل القرآن والدين.

وأسند الشيخ مهمتنا لعرّيف، وخرج مع فارس، كان الغضب باديًا على وجه الشيخ، وكلما قابله أحد ولمح على وجهه الغضب تبعه في صمت، وهكذا بدأ الناس يتكاثرون خلف الشيخ جمعة،وظهر على ملامحهم

الغضب.. إنهم يعرفون أن الشيخ لا يغضب إلا للحق، وما دام قد ظهر الغضب فلا بد أن هناك ظلمًا قد وقع، وليس واقعا في الغالب على الشيخ بل واقع على أحد المستضعفين..

بدا كل شيء في موكب الشيخ جمعة حزينا، حتى الشمس والطرق في امتدادها، والأطفال في لعبها.

وصل الشيخ جمعة وخلفه الناس إلى هناك، نظر فوجد ما لا يصدقه عقل؛ أنقاض البيت مكومة والنخلة الخضراء التي كانت تتقدم البيت قد مالت على الأنقاض..

قال الشيخ بصوت عالٍ:

- اتقِ الله يا جبار، فليس من الكرامة أن تتعدى على حق الجار.

رفع جبار يده بالفأس وأراد أن يهبط بها على رأس الشيخ جمعة الذي كان يقف كحرف الألف دون خوف، غير أن الناس الذين كانوا يقفون خلف الشيخ انتفضوا،وفي لمح البصر كانوا قد أخذوا منه الفأس، وهموا بقتله، غير أن الشيخ جمعة صاح في الجموع الواقفة:

- ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾

وسكنوا جميعًا، صاروا وكأن الطير على رؤوسهم وخشعت قلوبهم، لقد انتبهوا إلى أن الشيخ جمعة يتكلم، وإذا تكلم رجل القرآن وجب علينا أن نفتح القلوب والآذان.

وقال الشيخ:

- أعيدوا حق فارس كما كان.. بالحق والهدى كما علمنا القرآن الكريم.

وبدأ الجميع يعملون، أعادوا حق فارس، ودفعوا الأنقاض بعيدًا كي

يستطيعوا إعادة البناء،وما أن انتهوا من ذلك حتى قال الشيخ جمعة:

- هيا إلى الصلاة، فقد حان موعد صلاة الظهر.

كان منام الأمس رائعًا غير أن الشيخ جمعة لم ينتظر طويلا لقد مضى. قلت له: تعالَ إلينا ثانية.

قال: إن المشيئة لا تسمح.

قلت له: خذني معك.

قال: إن المشيئة لم تسمح.

قلت له: نلتمس منك النصح.

قال: إذن عودوا إليها.

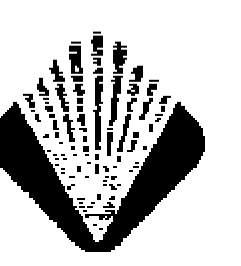
قلت: إلى أي شيء نعود؟

قال: إليها.. إلى حجرتي التي علمتكم فيها، واجعلوا القرآن الكريم يدوي وسوف ترَوْن.

قلت: سوف أخبر الجميع يا سيدنا بهذا الأمر.. سنعود لحفظ القرآن إن شاء الله.

ابتسم سيدنا وهو يودعني قائلا:

- فليحفظك الله.. فليحفظك الله.



حكاية سجادة قديمة

حكاية سجادة قديمة

ما رأيكم في حكاية؟

أراكم تبتسمون يا أحبائي وتتعجبون، وهل للسجادة هي الأخرى حكاية..؟! نعم لي حكاية.. ولا يستطيع أن يحكيها غيري.

ما رأيكم لو أبدأ من نهايتها، حين اشترى صاحبي سجادة جديدة، نعم لقد حزنت ومن حقي أن أحزن.. لكن النهاية كانت سعيدة حين أيقنت أنها سنة الحياة؛ جديد وقديم.. وماضٍ وحاضر.. إنها الحياة يا أحبائي.

هل ابتعدت عن حكايتي؟ هل تظنون أني أراوغكم وأحاول كسب الوقت؟ ها أنا سأثبت لكم أن لي حكاية..

كنت شيئًا عزيزًا في البيت يدعوني صاحبي لأجمل لحظات رائعة حقا، يمسك بي ثم يضربني برفق ليخلصني من غبار قليل قد تعلق بي،ثم يفردني على الأرض فأنبسط وينبسط هو الآخر..

ينظر إليَّ جيدًا، يمعن النظر في صورة الكعبة البهية، يقف في خشوع ينوي الصلاة، ولأنه يحب النظر إلى موضع سجوده فإن عينيه تكونان نحوي، وأرى الصدق فيهما وهو يرفع يديه ليرمي الدنيا خلف ظهره،وأجدني فرحة في قيامه وهو ينظر إليّ، وفي ركوعه ونظراته تقترب أكثر، ثم اللقاء عند السجود، عندما يسبِّح باسم ربه الأعلى أشاركه أنا الأخرى في التسبيح..

قد تضحكون يا أصدقائي وتقولون: سجادة تسبح؟! نعم.. نعم وما من شيء إلا يسبح بحمده لكنكم لا تفقهون تسبيحه.. يا لها من لحظات.. حين أكون موضعًا للصلاة حين تنفرد أطرافي، وحين يلفني

صاحبي ويضعني في أحد الأركان أجدني في حالة انتظار.. انتظار من يأخذني من أهل البيت ويفردني علي الأرض ويشرع في الصلاة.

كم من السنين مرت على هذا الحال، وأياد كثيرة تمتد إليّ، يملؤون صفحتي بالصلاة ولا سيما كبير البيت الذي ينهض من نومه كثيرًا وأسمعه يردد في خشوع: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾..

يتوضأ.. بل يسبغ الوضوء على المكاره، ويأخذني.. أجدني أنبسط معه وأجده مشرق الوجه، وأراه يدقق فيّ كأنه يتعلق بالكعبة المطبوعة في قلبي، يدقق أكثر ويحني رأسه خشوعًا ويقول: الله أكبر..

حتى كان ذلك اليوم الحزين، كان الليل قد هبط،واستغرقت في نوم طويل لم أعتده، ولم تمتد يد لتوقظني من سباتي، غير أني نهضت مع الشروق ووجدتها بجواري.. سجادة جديدة.

الآن عرفت السبب، كانت تبدو مزهوة بنفسها وهي تدفعني بأطرافها اللامعة، قالت في دلال:

- تحركي ناحيتك.. أريد أن أستريح في موضعي.

قلت لها: من أنت؟

- ألا تعرفينني؟ أنا الجديدة.. الجديدة جدًا، من الآن سأكون أنا المطلوبة..

كانت تتحدث بلهجة فيها زهو وخيلاء، شعرت بحزن وألم في أطرافي التي لم تعد ذهبية، وقلت لنفسي: لقد صدقتْ.. لماذا لا أرضى بالواقع؛ القديم قديم.. والجديد جديد.

قلت لها: حقا لقد صدقت.. لكني لم أكن بهذا الزهو حين كنت

جديدة، ثم أنني ما زلت مطلوبة.

ابتسمت الجديدة بتهكم وقالت: حسنًا فلننظر مَنْ ستكون المطلوبة..

وبالليل سمعنا وقع أقدام خفيفة وأصوات تمتمة واستغفار، قالت الجديدة: ها قد وصل..

واصل الرجل سيره حتى وصل إلينا، تقدم نحوي فخفق قلبي وسرتِ الروحُ في أطرافي، لكنه تردد فجأة ونظر ناحية الجديدة وابتسم، ثم أخذها وذهب، كانت الجديدة تنظر إليَّ وتضحك، فرَدَ الرجل سجادته الجديدة وراح يصلي، وعندما فرغ لفَّها بحنوٍ ووضعها بجواره..

لمع وجه الجديدة وهي تقول:

ألم أقل لك؟ وسوف ترين كلما أذن المؤذن.

قلت لها: أنا وأنت للنوافل وللفرض حين تكون الضرورة.

قالت الجديدة: أنا فقط وليس أنا وأنت.

سكتُّ ولم أنطق، ورحت أفكر في الأيام الخوالي،منذ جئت إلى البيت لأول مرة، تذكرت أول صلاة تمت فوقي، كانت فرض العشاء صلته سيدة البيت، ثم أربع ركعات لصاحبي حين أوشك الليل على الانتهاء،ونبش الفجر في الأفق يعلن عن قرب وصوله، وكان ذلك منذ عشرين عاما.

يااااه.. عشرون عاما، ترى كم ركعة صُلِّيت فوقي.

ورحت أحسب بالتقريب كم صلى صاحبي كبير البيت، وكم صلى محمد وأحمد، ثم الصغيرة الجميلة «إيمان»

قضيت ليلة كاملة أحسب الركعات؛ كم في الشهر، وكم في السنة، وكم في كل السنوات، هل تصدقوا يا أحباء، لقد كان رصيدي أكثر من مليون

ركعة، لقد حسبت بالتقريب صلاة الأب والأم والأبناء، ولم أنسَ الضيوف الذين كانوا يطلبونني.. هللت وفرحت، وكدت أقفز من فرط سعادتي.. أنا سجادة مليونيرة.

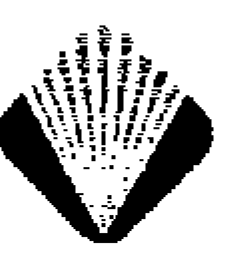
قالت الجديدة: ما لي أراك فرحة؟!!

حكيت لها.. فدهشتْ وراحت تتأمل فيَّ وقالت: كم أنت عظيمة، ولك تاريخ عظيم، العقبى لي يا رب.. رصيدي لم يبلغ عشر ركعات بعد.

قلت لها: إن شاء الله يزيد رصيدك بمرور الأيام، واقتربنا من بعضنا ودار بيننا حوار حتى أغمضنا العيون، ومر وقت غير قليل وجاءت سيدة البيت ومدت يدها وأخذت السجادة الجديدة وراحت تصلي..

صدقوني كنت سعيدة من أجلها.. إنها ستسابق الزمن لتصل إلى رصيدي نفسه.

وما هي إلا لحظات حتى دخلت إيمان، كانت قطرات الماء تتساقط من وجهها وكانت تتمتم في خشوع، الآن أدركت أنها ستصلي، مدت يدها إليَّ فسرت الروح في قلبي.. سأواصل رصيدًا جديدًا.. أنا الآن في يد إيمان فردتني فانبسطتُ،وملأني الفرح والسرور، ثم غمرني فيض من النور، ورحت أنظر إلى إيمان وأترقب أول سجدة.



مدينة الورد

مدينة الورد

كان كلما استعد للخروج جرتْ نحوه ابنته الوحيدة وأعطته وردة قطفتها من الحديقة، يأخذ الوردة، يستنشق عطرها، يشعر بالسعادة، تقول له: أبي.. ليس أجمل من الوردة شيء.. بريئة، رقيقة، طيبة الرائحة،أريد أن يكون طعامنا هكذا طيبا وليس من حرام..

يعبس وجهه، يتبلد، ينصرف إلى خارج المنزل، في الطريق يفكر في النهب والسرقة، كعادته دائمًا قبل أن تزرع ابنته الورد في حديقة المنزل، وما أن يشرع في الظلم حتى يتذكرهما «الوردة وابنته»، يحاول أن يطرد خيالهما دون فائدة؛ مرة تظهر الوردة في وجه ابنته، ومرة تظهر ابنته في وجه الوردة، وفي الحالتين رائحة زكية تعبق المكان،وفرح يملأ قلبه ويسرى في جسده فيتراجع عن الظلم، ويعود آخر النهار مبتسمًا وبيده المال الحلال.

كل صباح تعطيه الوردة، كل يوم يفكر في الظلم، كل يوم تمنعه الوردة، كل يوم يعود بمال من حلال، غير أن ورد الحديقة انتهى، بحثت ابنته عن وردة فلم تجد، بكت، أخذت تجوب الطرقات وتنادى: وردة..أي وردة.. بيضاء أو حمراء أو بنفسجية أو زرقاء، وردة تبعث الرقة في النفس، وتُنْسِي الظالم ظلمه.. لكن الطرقات أجدبت،والأراضي قحلت، وكأن زراعة الورد لم تعد تشغل أحدًا.

عادت الابنة فلم تجد أباها، كان قد خرج بلا وردة، ولأنها تعرف عاقبة ذلك، انزوت في ركن من المنزل وأخذت تبكي،وفي آخر النهار عادت جيوبه منتفخة بالمال، ووجهه عابس، راحتْ بسمتُه خلف غمامة على وجهه..

ازداد بكاء البنت المسكينة،ولم تقترب من الطعام، ولم يشعر هو بها،

كل ما كان يشغل بال أبيها أن يملأ الأكياس مالا -حراما أو حلالا- هذا ما يشغله..

وهرع المظلومون إلى البيت، كلُّ مَنِ اكتشف ظلمًا أو خديعة، والتفوا حول البيت يبكون، مساكين كثيرون، لم يكن هو بالبيت بل كانت ابنته، خرجت إليهم، سمعت شكواهم وبكت وهي تقول: لقد بحثت عن وردة ولم أجد.

وبدت الدهشة على وجوههم!! ماذا تقول الفتاة؟ نحدثها عن ظلم أبيها فتحدثنا عن الورد؟!.

حكت لهم الحكاية من البداية؛ من أول وردة لآخر وردة، وقبل أن يظهر الورد في الحديقة، ووعدتهم خيرًا إن هم ذهبوا وعادوا بوردة.. أي وردة.. بيضاء أو حمراء أو بنفسجية أو زرقاء.. أي وردة.

وانصرفوا جميعًا يجوبون الطرقات، يهرعون هنا وهناك، حفيت أقدامهم واكتشفوا أنهم ظالمون للورد.

وعاد الظالم لابنته،ووجدها تبكي، سألها عما ينقصها، ربت عليها في حنان وقال:

- كل ما تريدين يا ابنتي أعطيك.

لا أريد شيئا يا أبي سوى أن ترد الحق لأهله.. أن تعيد البسمة للجميع.

وفي تلك اللحظة سمع صياحًا وجَلَبَة خارج المنزل، خرج الرجل وابنته يتطلعان إلى القادمين، كان المساكين قد أتوا وفي يد أحدهم وردة،أمسكتها البنت منه وقالت بفرح: أبي، ورد.. هل نسيت الورد يا أبي؟

ابتسم الأب وقال: أأرسلت كل هؤلاء من أجل وردة لي؟

- قالت: لأن الرقة في الورد.. والعدل في الورد.. ولأن النفس التي يشبعها عبير الورد لن تكون أبدًا نفسًا طماعة.

نظر الرجل إلى ابنته وقال: ما أروعك يا ابنتي وما أظلمني!

وأشار إلى الواقفين بأن يجلسوا، وردَّ لهم أموالهم فغادروا فرحين.

وقال الرجل لابنته: لا ظلم بعد اليوم.. بل سنزرع الورد في كل مكان.

وفي الطريق كان المساكين يغنون: سنملأ السهول بالورد والجمال.

ومنذ ذلك اليوم كثر الورد في هذه المدينة، فأمسَتْ مدينة رائعة تنبعث منها رائحة العدل، وأُطلق عليها لقب (مدينة الورد).

نبأ اليوم

نبأ اليوم

أمـام طاولـة الصحف وقف عاصم يشتري لوالده صحيفة اليوم، وسيسأله عندما يرجع عن الكلمة التي استرعت انتباهه في العناوين.

لم يكن عاصم في حاجة إلى البحث.. كانت كلمة إعصار هي البارزة.. تتكرر في كل الصحف.. حمراء كبيرة.. وأسفلها تفاصيل سوداء.

استولت عليه الدهشة وهو يتابع على صدر كل صحيفة البيوت وهي تسقط،والأشرعة وهى منتكسة، والقوارب وهي تتكوم فوق بعضها.

شقت الفضاء طائرة، دوى صوتها قويا.. قال في نفسه:

الإنسان اخترع أشياء تفوق الخيال.. وسكن الفضاء العالي، وابتكر الأسلحة الفتاكة والأخرى الذكية..هل ينتصر عليه البحر.. هل تهزمه الرياح؟!

شـرد للحظات.. وفجـأة اختفت الشمس وهـب الـهواء قـويًا، وعلت غمامة سوداء.. وبدا أول اليوم كآخره.. واشتدت الرياح أكثر.. وأسرع المارة أكثـر.. واشـتـدت الـريـح واشتدت،ضربت الصحف فوق الطاولة، تطايرت هنا وهناك، أسرع البائع يلملم الصحف المتطايرة،وقبض عاصم على صحيفته وواصل سيره بحذر،وقد عرف الإجابة على السؤال الذي حيره.

الجائزة

الجائزة

صاح الولد زكريا في جمع من الأولاد:

- لقد وصل الحاج عبد الرحمن.

- متى يا زكريا؟

- وصل للقرية لحظة انطلاق صوت المؤذن لصلاة العصر.

- يا زكريا، إن الكذب حرام.

- هل عهدتموني كذابًا؟

- لا والله.

- وهرعنا إلى بيوتنا، نخبر آباءنا وأمهاتنا:

- لقد وصل الحاج عبد الرحمن.

ابتسم أبي وقال:

- نعم الإيمان.. إيمان هذا الرجل.

- الحاج عبد الرحمن يهل هلاله على القرية مع هلال شهر رمضان، حيث يأتي هو وأسرته، يقضون الشهر بطوله في القرية، يحكي للناس أن أصله كان فيها، وفصله كان فيها، وقلبه لا يزال فيها، وهي فيه يحتويها، ويرجو الله أن يجعل فيها مماته، ويذكر للناس معالمها وملامحها ويقول:

- كل شيء فيها ينبض مع القلب؛ سواقيها وزروعها وناسها الطيبون.

- ألم تأخذك المدينة منها؟

- كيف.. وهنا الأساس.. هنا تعلمت كيف أكتب الحرف، وحفظت هنا القرآن الكريم، وامتداد الأرض فيها علمني أن أرض الله واسعة وبالعمل تقوم الحياة.

بالليل كان الجامع يمتلئ بالنور وبالمصلين، ونسمات رمضان الزكية تتهادى من نوافذ الجامع، تحمل روعة الفضاء للناس.

كنا قد فرغنا من الصلاة حين وقف الحاج عبد الرحمن، وأمسك مكبر الصوت، وقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله الكريم:

- هذه روعتك يا رمضان تجمعنا وترفعنا، تعيد إلينا البأس، وتطهر النفس، وترفع بجمالك الحس،وتزيد بيننا الأنس.. ما أروعك يا رمضان.

وأخذ يقول، ويصلي بين الحين والحين على طه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى دمعت أعيننا وغسلت وجوهنا. خرجنا بعد صلاة القيام لشوارع قريتنا الطيبة والقمر في صدر السماء مبتهج يجمعنا..

وعاد زكريا ينادي:

- يا أولاد، من يباريني.. من يجاريني؟ في الغد موعدنا.

- يباريك في ماذا؟

- هل نسيتم ما قاله الحاج عبد الرحمن في العام الماضي؟

- قلنا: هل تقصد القرآن الكريم؟

- قال زكريا: ماذا حفظت يا محمود؟

- قال محمود: أربعة أجزاء.

- وأنت يا حسان؟

- خمسة.

- قال زكريا: رائع يا أصدقاء، لقد قال الحاج كلما زاد عدد الأجزاء كبرت الجائزة.

- ثم وجه حديثه إلي: وأنت ماذا حفظت؟

- سبعة.

- قال زكريا: بارك الله فيك.

- قلنا في صوت واحد: وأنت كم حفظت يا زكريا؟

- سكت زكريا قليلا، وأخذ يحوم شمالا ويمينا، ويتأمل السماء العالية والأرض المنبسطة أمامه والأشجار الخضراء المنتصبة في المدى، وقال وعيناه تغرورقان:

- الحمد لله.. لقد ختمت القرآن.

- وهللنا في فرح: الله أكبر.. كل القرآن يا زكريا؟

- كل القرآن يا إخواني.

- إذن ستكسب ألفين من الجنيهات قيمة الجائزة التي رصدها الحاج للفائز الأول.

- قال زكريا:

في البدء كان هدفي الجائزة، والآن بعد أن حفظت صارت سعادتي بما حفظت أكثر من سعادتي بالجائزة.

- هنيئا لك يا زكريا.

- وانتشرنا، لقد حان وقت اللعب، اللعب في ضوء القمر.. فالقمر له روعته وجماله، وأخذنا نجرى هنا وهناك، وعندما تعبت أقدامنا وكلت، جلسنا بجوار الجامع وأخذ كل واحد منا يحكي حكاية، وما هي إلا دقائق حتى رأيناه بجلبابه الأبيض،ومعه بعض الرجال يحملون أشياء لم نتبينها، ترى هل هو؟ فلنسكت يا أولاد ولنتابع من يكون لا نريد حسًا ولا حركة..

- السلام عليكم..

- ثم يعطيهم أشياء ويمضي، شيئًا من جيبه، وشيئًا مما يحمله الرجال، وما أن ينتهي حتى يطرق بابا آخر، والقمر في صدر السماء ساطع لامع..

- رددنا بصوت خافت كله فرح:

- هو يا أولاد؟

- نعم هو.

- وأضاف زكريا:

- ما أروع قريتنا بالحاج عبد الرحمن.. وما أروع كل قرية فيها مثله!!.

وانصرفنا إلى بيوتنا، استلقيت على ظهري، رأيت الكون مشرقًا جميلا، والأرض منبسطة خضراء، لن أرقد حتى أحفظ شيئًا من القرآن الكريم أزيد به مقدار حفظي.

وأخذت أقرأ وأقرأ، كل كلمة من القرآن تخرج من صدري تمنحني

فرحًا وثقة وجمالا، ولم أملّ حتى موعد السحور.

في اليوم التالي احتشد الجامع بالمصلين، صلينا العصر خلف الحاج عبد الرحمن، وبعد انتهاء الصلاة جلس، وبسم الله بدأ يحكي عن عظمة القرآن، قال:

- من حفظ من الأولاد يتقدم نحوي.. والحاج يختبرنا بنفسه.. فواحد حفظ خمسة وواحد حفظ ستة وواحد حفظ أكثر..

وتقدم زكريا برفق وثبات وأخذ طريقه نحو الحاج وقال:

- الحمد لله حفظت القرآن كله.

- بسم الله ما شاء الله.. تقدم يا ولدي، تقدم اقرأ من أول الإسراء.

- ويقرأ زكريا بروعة يأخذ بها القلوب.

- اقرأ من أول آل عمران.

- وأخذ يختبره الحاج في البقرة والأنفال وإبراهيم ومريم وكل السور، لم يملّ الحاج، ولم يكلّ زكريا، بل كان صوته قويًا نديًا والناس يسمعون في فرح، والحاج يتابع بسعادة بالغة والفرح يتلألأ على وجهه، ثم قال بعد أن نجح زكريا في الاختبار:

- الله أكبر.. ابن من يكون؟

- همس رجل في أذن الحاج:

- ابن العربي الذي استشهد دفاعًا عن الوطن

- قال الحاج بفرح:

- فلترفع الجائزة ألفين آخرين؛ كرامة للشهيد، وتقديرًا لروعة زكريا.

وتسلم زكريا جائزته وسط أفراح ملأت القلوب والمكان، وتسلم الأولاد الآخرون جوائز بقدر ما حفظوا.

غير أن الأولاد جميعهم ما زالوا يجتهدون في الحفظ.. وينتظرون العام القادم حين يهل هلال رمضان وهلال الحاج عبد الرحمن.



١- الشهود الحضاري للأمة الوسط في عصر العولمة.

د.عبد العزيز برغوث.

٢- عينان مطفأتان وقلب بصير (رواية).

د. عبد الله الطنطاوي.

٣- دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية.

د. محمد إقبال عروي.

٤- إشكالية المنهج في استثمار السنة النبوية.

د. الطيب برغوث.

٥- ظلال وارفة (مجموعة قصصية) .

د. سعاد الناصر (أم سلمى).

٦- قراءات معرفية في الفكر الأصولي.

د. مصطفى قطب سانو.

٧- من قضايا الإسلام والإعلام بالغرب.

د. عبد الكريم بوفرة.

٨- الخط العربي وحدود المصطلح الفني.

د. إدهام محمد حنش.

٩- الاختيار الفقهي وإشكالية تجديد الفقه الإسلامي.

د. محمود النجيري.

١٠- ملامح تطبيقية في منهج الإسلام الحضاري.

——————— د. محمد كمال حسن.

١١- العمران والبنيان في منظور الإسلام.

——————— د. يحيى وزيري.

١٢- تأمل واعتبار: قراءة في حكايات أندلسية.

——————— د. عبد الرحمن الحجي.

١٣- ومنها تتفجر الأنهار(ديوان شعر).

——————— الشاعرة أمينة المريني.

١٤- الطريق... من هنا.

——————— الشيخ محمد الغزالي

١٥- خطاب الحداثة: قراءة نقدية.

——————— د. حميد سمير

١٦- العودة إلى الصفصاف (مجموعة قصصية لليافعين)

——————— فريد محمد معوض

نهر متعدد.. متجدد

هذا الكتاب

اليمامة تعرف كل شيء، تعرف الحب، وتصعد الصفصاف، وتهبط على الصفصاف، وتداعب السنابل، وتغني للبراعم.. لكن دوام الحال من المحال.. أهمل الناس الشجرة، تركوها عطشى، وتركوا الحشرات تعتري جذورها.. مالت فروع الشجرة كئيبة وذبلت بعض الأوراق.. بكت اليمامة وصارت تردد:

- ككم ككم.. اسقوا زرعكم..

لكن أحدًا لم يسمعها.. ولم يصدقها.

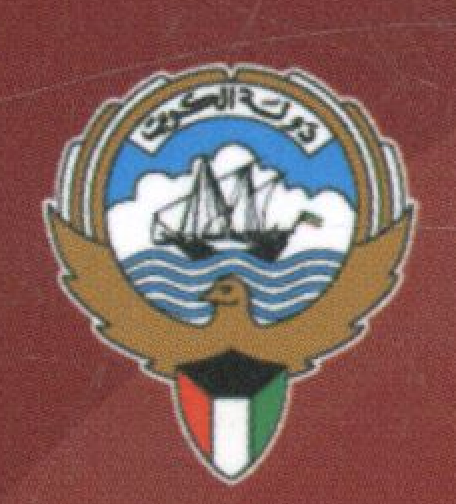
قالوا: كيف تعود الصفصافة كما كانت خضراء، فترد اليمامة بالجواب:

- اسقوا زرعَكم.

وتصر اليمامة على النداء، ضربوها لتمضي فمضت، حرموا عليها أن تقرب الصفصافة في النهار فرفضت، لكنها في الليل صارت تتسلل إلى الصفصافة، وصارت تنادي النائمين، وكلما اشتد الظلام علا صوتها:

- ككم ككم.. طال رقادكم.


Bibliotheca Alexandrina
0943008



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
إدارة الثقافة الإسلامية
www.islam.gov.kw/thaqafa